عـــــلم الوعـــظ

تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي

د / أحمد محمد زايد

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر– بالقاهرة .

1431هـ – 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وبعد:

فإن من عناية الله تعالى بدينه أن صرف همم طوائف من عباده المؤمنين لتبليغه ونشره والتذكير بمبادئه وأحكامه,سالكين في هذه السبيل مسالك عدة: فما بين مقرر لأحكام الإسلام فروعا وأصولا, وآخر يقرع الآذان بقوارع الوعظ والتذكير, وغيره يقضي سحابة نهاره وطرفا من ليله في التعليم والتنبيه , وآخرون يحملون سلاحهم للذب عن حياض بلاد الإسلام وحفظ بيضته ,إلى محاربين للبدع ناشرين للسنن مصححين العقائد فاعلين لألوان الخيرات,فتتابعت الأساليب والوسائل في بيان الحق قولا وعملا.

وكان من بين تلك المسالك في بيان الإسلام والترغيب فيه والتثبيت عليه "مسلك الموعظة والوعظ" الذي قرره القرآن الكريم وأمر باعتماده كأحد أساليب الدعوة إلى الدين والتذكير بالله تعالى ,حيث قال سبحانه:" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يمارس الوعظ البليغ المؤثر, فقد ورد عند أبي داود قوله حدثنا أحمد بن حنبل، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ثور بن يزيد قال: حدثني خالد بن معدان قال: حدثني عبد الرحمن بن عمرو السّلمي وحجر بن حُجْر قالا:

أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه: "ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه"[2] فسلَّمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: صلّى بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون وَوَجِلت منها القلوب، ، فقال قائل: يارسول اللّه، كأن هذه موعظة مودعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشيّاً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ"[3].

فالموعظة إذا مطلب شرعي وفعل نبوي أُمر به الدعاة إلى الله تعالى في القرآن الكريم , ومن المعلوم أن تنفيذ أوامر الله تعالى – خاصة فيما يتعلق بالعامة والجمهور– يحتاج إلى فقه وإدراك لطرائق ذلك التنفيذ لتحقيق الإصابة الشرعية ليقع الأمر الشرعي على وجهه المقصود.

---

(1) سورة النحل آية (125).
(2)سورة التوبة آية (92).
(3)الحديث صحيح , رواه أبو داود في سننه ك / أول كتاب السنة ب/ لزوم السنة. ورواه الترمذي في جامعه ك/ العلم ب/ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة برقم (1676) وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

والوعظ كعلم وفن وممارسة ما زال – على كثرة ممارسته– في حاجة إلى زيادة بيان لفقهه وضوابطه ولوازمه لضبط الممارسة حتى يصل الواعظون إلى درجة الوعظ المؤثر الفعال.

ومن هذا المنطلق كانت هذه الدراسة الوجيزة حول: " علم الوعظ تأصيله وفقهه" اخترت لها علما من أعلام الوعظ في تاريخنا الإسلامي العريق لنقف مع أحد تصانيفه الهامة في هذا المجال ألا وهو كتابه الماتع :"كتاب القصاص والمذكرين"[4] , وقد صنفه – رحمه الله تعالى– في هذا الفن على الخصوص لبيان فقهه وضبط جوانبه, جمع فيه بين الخبرة العملية والرؤية الواقعية, ودلل فيه على المسائل وتناول كثيرا من الجوانب, مما يجعل الباحث على يقين أن ابن الجوزي يعتبر من أوائل من أصَّل لهذا العلم إن لم يكن أولهم.ولم أقف – حسب علمي القاصر– على مصنف في علم الوعظ يتناول مسائله ويؤصل جوانبه إلا على هذا المصنف الرائق, وقد لاحظت على من كتبوا في فن الخطابة وعلم الوعظ أن أحدا من هؤلاء لم يرجع إلى هذا المصنف أو أشار إليه, اللهم إلا النادر القليل, مع أن الكتاب عمدة في بابه, صنفه خبير بهذا الفن الخطير " فن الوعظ" فكانت تلك المحاولة إسهاما في تأصيل علم من علوم الدعوة التي تحتاج في جملتها إلى تأصيل, بدلا من الكلام المرسل الذي يعوزه التأصيل والبيان.

وقد قام هذا البحث الوجيز على دراسة تحليلية استقرائية لكتاب (القصاص والمذكرين) للإمام أبي الفرج ابن الجوزي – رحمه الله – بهدف استخراج أصول وقواعد وفقه "علم الوعظ " ولاسيما أن الشيخ – رحمه الله – قد وضعه لهذا الغرض النبيل, فقرأت الكتاب واستخرجت منه ذلك كله , وصغته صياغة علمية لا تعقيد فيها ولا تكلف, فلم أخرج الكلام عن مقصود صاحبه , ولم أتمحل لإثبات ما أريد إن لم يكن كلام الشيخ مسعفا في ذلك, وجعلت صلب الموضوع مبسوطا في الفصل الثاني بتمامه ,أما الأول فجعلته ترجمة للشيخ عليه رحمة الله, ثم في بحث المقدمات العشرة لهذا العلم, لأننا بصدد التأصيل العلمي لعلم فقد كثيرا من التأصيل فبدا كأنه صنعة بلا أصل, مع أن هذا الفن له أصوله العريقة ومبادؤه العتيقة, ومن هنا جاء بناء البحث مكونا من فصلين على النحو التالي :

الفصل الأول: ابن الجوزي – رحمه الله تعالى –وعلم الوعظ ترجمة وتعريفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: ترجمة ابن الجوزي –رحمه الله تعالى.

---

(4) والنسخة المعتمدة في هذا البحث هي "كتاب القصاص والمذكرين" تحقيق الشيخ محمد لطفي الصباغ – ط الثانية - المكتب الإسلامي – بيروت – 1409هـ - 1988م.

المبحث الثاني : علم الوعظ مبادئ وتعريفات.

المطلب الأول:المبادئ العشرة لعلم الوعظ .

المطلب الثاني : تعريف الوعظ والألفاظ ذات الصلة.

الفصل الثاني :علم الوعظ: تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي

المبحث الأول: تعريف علم الوعظ عند ابن الجوزي وبيان فضله وأهميته:

المطلب الأول : تعريفات الفن وبعض المصطلحات ذات الصلة عن ابن الجوزي

المطلب الثاني : بيان فضل الوعظ وأهميته ومدى الحاجة إليه

المبحث الثاني : الوعظ بين الانفراط والانضباط كما صوره ابن الجوزي

المطلب الأول : آفات الوعظ وأخطاء الوعاظ

أولا: اختلاق الكذب.

ثانيا: إفساد الروايات بالزيادة والخلط.

ثالثا: رواية الموضوعات دون الوقوف على حقيقتها.

رابعا: اختلال الأولويات في الدعوة .

خامسا: المبالغة في التخويف من الله وعدم التوازن بين الترغيب والترهيب.

سادسا: سوء استعمال النصوص الشرعية .

سابعا: المبالغة في ذم الدنيا ومخاطبة الناس بما لا يحكمون فهمه ولا عمله في هذا الباب.

ثامنا: ذم الدهر وحوادث الزمان بما يدفع إلى التسخط وتجدد الأحزان.

تاسعا: الإتيان بما يمجه العقل ولا يقبله الشرع من أنواع المجاهدات .

عاشرا: ذكر بعض أهل الضلالة والثناء عليهم.

حادي عشر: اتخاذ الوعظ حيلة لطلب حطام الدنيا .

ثاني عشر: تحريك النفوس بما قد يفسدها.

ثالث عشر: احتقار العوام والاستهزاء بهم.

المطلب الثاني : الضوابط اللازمة لإصلاح الوعظ في فكر ابن الجوزي

أولا: اعتماد الوعظ على الفقه في الدين.

ثانيا: سعة علم الواعظ وتبحره في علوم الشرع والواقع.

ثالثا: تحقق الوعاظ بالإخلاص والتجرد من حظ الدنيا.

رابعا: حفظ الهيبة بتقليل مخالطة العوام.

خامسا: ضبط مجالس الوعظ بأحكام الشرع ومراعاة طبيعة الحاضرين.

سادسا: الحذر من أمراض القلوب .

سابعا: الحذر من فتنة النساء وترك التصنع والتزين لهن.

ثامنا: مراعاة فنون الوعظ وآدابه وما ينبغي فيه.

المطلب الثالث : نموذج من وعظه _ رحمه الله _

نتائج وتوصيات

وأسال الله تعالى أن ينفع بهذه السطور كاتبها وكل ناظر فيها , وأن يعفو عما وقع فيها من خطأ أو خلل والحمد لله أولا وآخرا.

الفصل الأول

ابن الجوزي وعلم الوعظ ترجمة وتعريفات

وفيه مباحث

المبحث الأول: ترجمة ابن الجوزي.

اسمه وكنيته :

نعت من ترجم لابن الجوزي بهذه النعوت التي تدل على مكانته بين العلماء فقالوا عنه : هو الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخرة العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف.

عرف جدهم بالجوزي لجوزة في داره بواسط[5]، ولم يكن بواسط جوزة غيرها، وجعفر في أجداده هو الجوزي منسوب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة. توفي أبوه وله ثلاث سنين، وكانت له عمة صالحة وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا كتب اسمه في بعض السماعات عبد الرحمن الصفار.

مولده : ولد– رحمه الله تعالى – سنة تسع أو عشر وخمس مئة, وقيل سنة خمسمائة وثمان.

بعض شيوخه وتلامذته

المطالع لسيرة ابن الجوزي يجد أن الرجل نشأ نشأة علمية متينة , خالط فيها العلماء وانتفع بخلق من أهل العلم كثير, فقدانتفع في الحديث بملازمة ابن ناصر، وفي القرآن والأدب بسبط الخياط، وابن الجواليقي، وفي الفقه بطائفة.

حدث عنه: ولده الصاحب العلامة محيي الدين يوسف أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير علي الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي صاحب (مرآة الزمان)، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وابن الدبيثي، وابن النجار، وابن خليل، والضياء، واليلداني، والنجيب الحراني، وابن عبد الدائم، وخلق سواهم, وبالإجازة الشيخ شمس الدين عبد الرحمان، وابن البخاري، وأحمد ابن أبي الخير، والخضر بن حمويه، والقطب ابن عصرون.

صفاته وشيء من مناقبه

---

(5)ذكر الحموي أنها في مواضع عدة بدأها بقوله:"أولا واسط الحجاج وأنها أعظمها واشهرها: ثم ذكر سبب تسميتها بذلك قائلا:"فاما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن كل منها إلى كل منها خمسين فرسخا " قلت : وهذه هي المقصودة كموطن لابن الجوزي . انظر معجم البلدان ج 5 ص 347 ط دار صادر- بيروت سنة 1977م .

قال عنه الذهبي : " وكان رأسا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن ,وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والاوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف.

توفي أبوه وله ثلاثة أعوام، فربته عمته.ثم لما ترعرع، حملته عمته إلى ابن ناصر، فأسمعه الكثير، وأحب الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافق السوق معظما متغاليا فيه، مزدحما عليه، مضروبا برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار، إلى أن مات رحمه الله وسامحه، فليته لم يخض في التأويل، ولا خالف إمامه"[6]. قلت: ومعروف أن ابن الجوزي خالف الحنابلة في مسألة تأويل الأسماء والصفات فكان يقول بالتأويل لما يعتقد أن ظاهره التشابه من الأسماء والصفات, وكتب في ذلك كتبا منها" دفع شبه التشبيه" انتصر فيه للتأويل , لهذا عتب عليه الذهبي – رحمه الله – هنا في الترجمة قائلا: "فليته لم يخض في التأويل , ولا خالف إمامه " يقصد الإمام احمد بن حنبل رحم الله الجميع .

ثناء الناس عليه

قال عنه الإمام موفق الدين: ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، كان يصنف في الفقه، ويدرس، وكان حافظا للحديث، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها، وكانت العامة يعظمونه، وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنة، فيستفتي عليه فيها، ويضيق صدره من أجلها.

وقال أبو معتوق محفوظ بن معتوق ابن البزوري في (تاريخه) في ترجمة ابن الجوزي يقول: فأصبح في مذهبه إماما يشار إليه، ويعقد الخنصر في وقته عليه، درس بمدرسة ابن الشمحل وبمدرسة الجهة بنفشا ، وبمدرسة الشيخ عبد القادر ، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ، ووقف عليها كتبه، برع في العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء مصره، وعلا على فضلاء عصره، تصانيفه تزيد على ثلاث مئة وأربعين مصنفا ما بين عشرين مجلدا إلى كراس، وما أظن الزمان يسمح بمثله، وله كتاب (المنتظم)، وكتابنا ذيل عليه.

---

(6) سير أعلام النبلاء (21/ 368) تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و وهذا الجزء الحادي والعشرون من تحقيق د/ بشار عواد ود/ محي هلال السرحان.ط الأولى –مؤسسة الرسالة –1404 هـ - 1984م

ابن الجوزي يتحدث عن نفسه:

قال رحمه الله عن نفسه مبينا بعضا مما سبق :"وإني ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف .

وقد جمعت في آلات الوعظ كتبا لم أسبق إلى مثلها من تفاسير القرآن المهذبة من الزلل ، السليمة من الأحاديث المصنوعة ، منها كتاب ' زاد المسير في علم التفسير ' وأكبر منه ' المغني ' ، وكتاب متوسط سميته ' بإيضاح البيان في تفسير القرآن ' ، وكتاب ' ناسخ القرآن ومنسوخه ' ، و ' مختصره ' ، وكتاب ' ناسخ الحديث ومنسوخه ' ، و ' مختصره ' ، وكتاب ' جامع المسانيد ' جمعت فيه مسند أحمد ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وكتاب الترمذي ، وهذه الكتب الأربعة تكون قريبا من ثلاثين مجلدا – فاختصرتها في خمس مجلدات مع ذكر الأسانيد وكتاب ' الحدائق ' غاية للواعظ ، ومختصره ' نقي النقل ' ، و ' المدبج ' ، وكتاب ' صفة الصفوة ' تشتمل على ذكر الزهاد والصالحين من زمن نبينا إلى الآن ، وكتاب ' منهاج القاصدين ' في شرح المعاملات .

وصنفت كتبا في أخبار الأخيار ، فمنها كتاب ' فضائل عمر بن الخطاب ' ، وكتاب ' فضائل (عمر) بن عبد العزيز ' ، و ' الحسن ' ، و ' الفضيل ' ، و ' أحمد بن حنبل ' ، و ' معروف ' ، و ' بشر ' و ' إبراهيم بن أدهم ' ، وغيرهم من الصالحين ، وكتاب ' عيون الحكايات ' فيه خمسمائة حكاية مسندة .

وأما كتب الوعظ فكثيرة يطول تعدادها ، منها ' تبصرة المبتدىء ' ، و ' كنز المذكر ' ، و ' اللؤلؤ ' ، و ' الملح ' ، و ' المدهش ' و ' الملهب ' ، و ' صبا نجد ' ، و ' نسيم الرياض ' ، و ' المنتخب ' وغيرها .

وبعض هذه الكتب تغني الواعظ وتكفيه طول عمره ، ولا يحتاج معه إلى زخارف قد ألفها الأعاجم أكثرها كذب وهذيان .

ثم قال: وإذا رزق الواعظ قريحة وفطنة ، وتشاغل بحفظ هذه الكتب التي سميتها رزق إنشاء ما يجانسها ، وصار يقول ما يماثلها بديهة . وليكن أكثر اعتماده على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين . فإني – بحمد الله – لما كان أكثر اشتغالي بها وبعلوم الحديث لم يكد يذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول : صحيح أو حسن أو محال ، ولي في كتبي الوعظية – بحمد الله – أعمال عجز عنها من تقدم . وإنما أحدث بهذه النعم شكرا ، لا عجبا لأنه إنما يعجب من يرى عمله . وأنا إنما أرى فضل المنعم وقلة شكري . ولقد أقدرني على أن أرتجل المجلس كله

من غير ذكر محفوظ . وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال . وأنا أسأل الله – عز وجل – إخلاصا في القصد ، ونفعا بالعلم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

من روائع ابن الجوزي في أقواله:

عقارب المنايا تلسع، وخدران جسم الآمال يمنع، وماء الحياة في إناء العمر يرشح.

يا أمير: اذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، ولا تشف غيظك بسقم دينك.

وقال لصديق: أنت في أوسع العذر من التأخر عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك.

وقال له رجل: ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس قال: لأنك تريد الفرجة، وإنما ينبغي الليلة أن لا تنام.

وقام إليه رجل بغيض، فقال: يا سيدي: نريد كلمة ننقلها عنك، أيهما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال: اجلس، فجلس، ثم قام، فأعاد مقالته، فأقعده، ثم قام، فقال: اقعد، فأنت أفضل من كل أحد.

وسأله آخر أيام ظهور الشيعة، فقال: أفضلهما من كانت بنته تحته. وهذه عبارة محتملة ترضي الفريقين.

وسأله آخر: أيهما أفضل: أسبح أو أستغفر ؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

وفاته:

وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مئة في داره بقطفتا.

غسل وقت السحر، وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقا، لأن الأعيان لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوما مشهودا، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة أحد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء.

إلى أن قال: وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل، كذا قال، والعهدة عليه ، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق،وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر في النوم، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه[7].

(7)يرجع في ترجمته إلى / سير أعلام النبلاء للذهبي (ج21/ ص365- 384). والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج34/13) ط دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي- بيروت –لبنان.والقصاص والمذكرين (372- 373)

المبحث الثاني : علم الوعظ مبادئ وتعريفات.

المطلب الأول: مبادئ علم الوعظ

جرت عادة علمائنا – رحمهم الله تعالى ورضي عنهم – عند تصنيف العلوم أن يبدءوا بتناول المقدمات بين يدي كل فن منها, هذه المقدمات هي المبادئ العشرة المعروفة لكل علم, وهي منظومة عند بعضهم بقوله:

إن مبادئ كل فن عشـــــرة الحد والموضوع ثم الثمـــــــــــرة
وفضله ونسبة والواضـــــــع والاسم الاستمداد حـــــــكم الشـــارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن دري الجميع حاز الشـــــــرفا.[8]

والمبادئ" فى اللغة: جمع مبدأ بمعنى مكان البدء ، وفى الاصطلاح: يقول الشيخ محمد أبو عليان في اللؤلؤ المنظوم ما نصه "ما يتوقف عليه العلم تصوراً أو تصديقاً, وتطلق على: ما يتركب منه الشئ كالكليات للمعرف, والقضايا للقياس وعلى ما يتوقف عليه الشئ وهذا أعم ....وفى آخر التهذيب أن المبادئ قد تطلق على ما يبدأ به قبل المقصود أهـ. وفى الحاشية: الأليق أن تذكر مبادئ كل علم في صدره ومبادئ كل باب من ذلك العلم في صدر ذلك الباب أهـ. وقد تطلق المبادئ على مقدمة الشروع كما في قولهم أن مباديء كل فن عشرة"[9].

وسنعرف فيما يلي كل مبدأ من هذه العشرة ثم نطبقه على فن الوعظ لتستبين لنا مبادئ هذا العلم العظيم:

1 – الحد: "عند الأصوليين وأرباب العربية هو ما يميز الشئ عن ما عداه سواء كان مع تصور كنه حقيقته أولا ... وعرف أيضاً بالجامع المانع"[10] والحد لِعلمٍ ما التعريف الجامع لمسائل ذلك العلم, المانع من دخول غير مسائله فيه من العلوم الأخرى.

2– الموضوع: مسائل العلم ومطالبه ومجاله الذي يبحث فيه.

3– الاسم: الألقاب التي تميز هذا العلم عن سواه, بحيث يعرف بها عند إطلاقها عليه.

4– الحكم : الحكم التكليفي الشرعي في تعلم هذا العلم وممارسته.

5– الفضل: شرف العلم وثواب الاشتغال به, وأهميته ومنزلته بين سائر العلوم.

6– الواضع: أول من صنف فيه وأرسى قواعده ووضع أساسه.

7– الاستمداد: مصادره التي يستمد منها ويؤخذ.

8– النسبة: علاقته بالعلوم الأخرى وصلته بها.

---

(8)حاشية الصبان/ محمد بن علي الصبان على شرح السلم للملوي ص(35)ط ثانية مطبعة الحلبي – القاهرة -1938م 1357هـ.
(9)انظر/ اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم محمد أبو عليان الشافعي ص(10)- طبع على نفقة حضرة الأستاذ العلامة الفاضل السيد /فريد الضرغامى الأزهري – ط القاهرة- بدون . توجد نسخة نادرة مودعة بمكتبة الباحث.
(10)اللؤلؤ المنظوم ص(18) السابق

9-الثمرة: غاية العلم والفائدة المرجوة من دراسته.

10- المسائل: ما يندرج تحت موضوعه من مسائل ومطالب وجزئيات .

هذه المبادئ العشرة – التي تسهم في تصور العلوم وبدونها يحدث قصور في تصورها وإدراكها- أضعها بين يدي علم الوعظ تطبيقا عليه فأقول:

الوعظ صرح العلماء – رحمهم الله – [11]بأنه علم مستقل كسائر الفنون والعلوم ذات المبادئ والأصول, فما هي المبادئ العشرة لهذا الفن؟ :

نقول:

أولا: حده : علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامةالناس[12].

ثانيا: موضوعه: المواعظ والرقائق أو "الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[13].

ثالثا: استمداده: كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المعروفة عند المحدثين، وأقاويل الصحابة، والتابعين، وغيرهم من صالح المؤمنين، وبيان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعا: أسماؤه :يطلق على هذا العلم "الوعظ" و"الموعظة" و "التذكير" و"النصح" و"الإرشاد", و"علم الرقائق", و"القصص" و"التبشير" و"الترغيب والترهيب", وهي ألقاب متحدة المعنى في بعضها, ومتقاربة في البعض الآخر.

خامسا: حكمه :فرض كفاية يجب أن تتوفر عليه طائفة لتحقيق التكليف الشرعي المأمور به في القرآن الكريم قال تعالى(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) [14].

سادسا: فضله: من أفضل الأعمال وأزكى القربات ففيه هداية الخلق والأخذ بأيديهم وقلوبهم إلى الله تعالى" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ) [15].

سابعا:الواضع: واضعه الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى- المتوفى 597هـ[16].

---

(11)نص العلامة صديق حسن خان في موسوعته الماتعة أبجد العلوم في الجزء الثاني المسمى:" السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم" على كونه علما مستقلا له المبادئ العشرة كسائر الفنون, وابتدأ ذلك بقوله :" علم الموعظة"
(12)أبجد العلوم / صديق حسن خان(2/ 310) (باب الواو) ط الهندية .بدون
(13)التفسير القيم لابن القيم ص 344 جمع / محمد أويس الندوي تحقيق / محمد حامد الفقي ط دار الكتب العلمية – بيروت 1398هـ.
(14)سورة آل عمران آية (104).
(15)سورة فصلت آية (33).
(16)رأيت هذا الرأى - والله أعلم بالصواب- وأخذت ذلك من كتاب الإمام ابن الجوزي " كتاب القصاص والمذكرين" الذي هو محل بحثنا إن شاء الله , ففيه تسمية هذا العلم وقواعد الوعظ والدعوة إلى الله تعالى,وبيان لشروط الواعظ آدابه وكيفية ممارسة الوعظ وبعضا من نماذج الوعظ وتراجم لبعض الوعاظ وكتاب القصاص وهذا كله لم أره في غيره, مما يدفع المرء أن يقرر إلى أن ابن الجوزي في هذا الكتاب وضع أسس هذا العلم ولاسيما أنه من مشاهير الوعاظ نظريا وعمليا فله في الوعظ "المدهش والياقوتة =

ثامنا: نسبته: إنه علم وثيق الصلة بالمصادر الإسلامية القرآن والسنة وسائر علوم الإسلام, فهو علم إسلامي , حيث لا يستغني الداعي إلى الله وهو يمارسه عن التزود بنصوص الوحي المعصومة وآثار الصالحين وقصصهم, وحكم السالكين وسلوكهم مما يرقق القلب ويهذب النفس .

تاسعا: غايته وثمرته: له أعظم الثمار وعظيم الفوائد فهو يرقق القلوب القاسية, ويهدي الله به النفوس الشاردة, ويحرك الناس نحو عواقبهم في الآخرة فيزدجروا عن الشر ويقبلوا على الخير وفي هذا صلاح وإصلاح.

عاشرا: قد أشار الشيخ صديق خان – رحمه الله إلى أن مسائله كل مسألة تتضمن النصح والأمر والتذكير والزجر," فالترغيب، والترهيب، والتمثيل بالأمثال الواضحة، والقصص المرققة، والنكات النافعة فهذا طريق التذكير، والشرح، والمسألة التي يذكرها، إما من الحلال، والحرام، أو من باب آداب الصوفية، أو من باب الدعوات، أو من عقائد الإسلام "[17].

المطلب الثاني: تعريف الوعظ والألفاظ ذات الصلة.

أولا: تعريف الوعظ في اللغة:

وردت مادة " و ع ظ " في المعاجم العربية القديمة والحديثة, فهي لفظة عربية شرعية مستعملة, ففي معاجمنا العربية يقول ابن فارس: "وعظ (الواو والعين والظاء)كلمة واحدة فالوعظ: التخويف والعظة الاسم منه. قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه"[18]. فهو عنده تذكير وتخويف.

أما ابن منظور فيقول " وعظ: الوَعْظ والعِظةُ والعَظةُ والمَوْعِظةُ: النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للإِنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعِقاب. وفي الحديث:"لأَجْعلنك عِظة" أَي: مَوْعظة وعِبرة لغيرك، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة. وفي التنزيل: فمَن جاءه مَوْعِظة من ربه؛ لم يجئ بعلامة التأْنيث لأَنه غير حقيقي أَو لأَن الموعِظة في معنى الوَعْظ حتى كأَنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه، وقد وَعَظه وَعْظاً وعِظة، واتَّعَظَ....."[19] فهو عنده نصح وتذكير بالعواقب كما أنه الحجج الناهية عن اقتحام الحرمات وبصائر تضمنتها المواعظ الربانية.

= وبحر الدموع والتبصرة والتذكرة والوعظ وغير ذلك وكلها في فن الوعظ , ولا تخفى في هذا المضمار إشارات الغزالي في الإحياء ,وكذلك جهود السابقين قبله كالمحاسبي وغيره.

(17)انظر: أبجد العلوم (2/ 312) مصدر سابق.

(18)معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس بن زكريا 126/6 تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ثالثة مكتبة الخانجي - القاهرة 1402 هـ- 1981م

(19)لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي 7/ 466 دار صادر –– بيروت- لبنان- بدون

والراغب –رحمه الله– في مادة وعظ يقول:"والوعظ :زجر مقترن بتخويف, قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والعظة والموعظة: الاسم. قال تعالى: "يعظكم لعلكم تذكرون"[20]، "قل إنما أعظكم بواحدة"[21]، "ذلكم توعظون به"[22]، "قد جاءتكم موعظة من ربكم"[23],"وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى"[24]، "وهدى وموعظة للمتقين"[25]،، "وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا"[26]، "فأعرض عنهم وعظهم"[27] .

فالوعظ في اللغة – على ما سبق – تذكير وتخويف نصح وإرشاد وترقيق طبع وقلب.

ثانيا – تعريف الوعظ اصطلاحا:

عرفه صديق حسن خان بأنه:" علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس"[28].

وعرف الأصفهاني الوعظ بقوله :"زجر مقترن بتخويف"[29] وقال الخليل في العين كما أورد الأصفهاني :" هو التذكير بالخير فيما يرق له قلبه"[30], وهو كذلك بنصه في تعريفات الجرجاني[31].

وقال الشوكاني: "الموعظة الحسنة هي: المقالة المشتملة على ما يستحسنه السامع, وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.

وقال أيضا: الموعظة الحسنة هي الحجج اللفظية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة"[32].

وقال بعضهم:" الوعظ نصح وتعليم كالوصية وهي التي تلي الدعوة بعد قبولها"[33].

ثم قال بعد إيراد بعض آيات الوعظ مبينا درجة الوعظ في الدعوة ومن يوجه إليهم هذا اللون من الخطاب الدعوي:"فتبادر إلى الفهم من هذه الآيات أن الوعظ إنما يكون بالدرجة الثانية من الدعوة, فلا يوعظ الكافر وإنما يدعى إلى الإسلام فإذا أسلم وحسن إسلامه وعظ وانتفع

---

(20) سورة النحل آية (90).
(21)سورة سبأ آية (46).
(22)سورة المجادلة آية (3).
(23)سورة يونس آية (57).
(24)سورة هود آية (120).
(25)سورة آل عمران آية (138).
(26)سورة الأعراف آية (145).
(27)سورة النساء آية (63). والنقل من / مفردات القرآن الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص 827 أعده للنشر/ د : محمد أحمد خلف الله – مكتبة الأنجلو المصرية بدون رقم وتاريخ-
(28) سبق بيانه في ص (11).
(29)المفردات مادة "وعظ"
(30) مفردات القرآن ص(827).
(31)التعريفات للجرجاني ص 308 تحقيق د: عبد الرحمن عميرة ط أولى عالم الكتب- بيروت – لبنان – 1407هـ-1987م.
(32)آيات الدعوة في القرآن الكريم ص 27 د/ حمد بن ناصر العمار نقلا عن التفسير القيم 344 ط أولى - دار اشبيليا –الرياض -- 1418هـ-1997م.
(33)تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم / آدم عبد الله الآلوري ص 20 ط ثانية – مكتبة وهبة – القاهرة - 1399هـ - 1979 م.

بالموعظة "[34]. قلت:وهذا الكلام فيه نظر فالموعظة توجه إلى الجميع مسلمهم وكافرهم, ولقد جاء القرآن المكي بزواجر الواعظ وقوارعه وكان خطابا للكفار والمؤمنين معا, لكنا نقول إن الانتفاع بها للمؤمن فقط لأن الله تعالى قال :" وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"[35]. .

والتعريف الأول هو المرتضى – إن شاء الله– من حيث تضمنه محتويات هذا العلم الذي عرف بها ومن أجلها حيث تضمن غرضه وطريقته ومادته وأثره.

والتعريفات السابقة لا تفرق بوضوح بين علم الوعظ والعظة أو الموعظة التي هي مادة العلم وبضاعة الواعظ, ولذا وجب التفريق بينهما كالآتي:

علم الوعظ :علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس. وهذا تعريف صديق خان.

أما **الموعظة** والعظة كمادة للعلم وبضاعة للواعظ فهي: "تذكير قولي مستحسن لدى السامع مشتمل على ما يرقق القلب ترغيبا ترهيبا دنيويا وأخرويا".

ثالثا: الألفاظ ذات الصلة :

ظهر عند الحديث على أسامي العلم وألقابه إن هذا العلم يسمى بعدة أسماء كالتذكير والنصح والإرشاد, وعلم الرقائق, والقصص والبشارة والترغيب والترهيب.

وهي – كما هو واضح– ألفاظ ذات صلة نزيد عليها لفظ الدعوة والخطابة لتكمل لنا بها عشرة أسماء نعرف بها بصورة موجزة ليتضح الأمر ما دمنا في مقام التأصيل العلمي لهذا الفن.

1- **التذكير**: عرفه ملا علي القاري بقوله :" التذكير هو الوعظ والنصيحة وذكر ما يوجب الخوف والرجاء من الترهيب والترغيب"[36] وعرفه ابن الجوزي بأنه :" تعريف الخلق نعم الله – عز وجل – عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته"[37].

2- **النصح**: هو : تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه" قال الراغب معبرا عن أصله في اللغة إنه " من قولهم: نصحت له الود أي أخلصته, وناصح العسل خالصه, أو من قولهم : نصحت الجلد خطته,...وقوله :"توبوا إلى الله توبة نصوحا" فمن أحد هذين: إما الإخلاص وإما الإحكام"[38].

---

(34)السابق ص(20).
(35) سورة الذاريات آية (55).
(36) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري (85/5) المكتبة الشاملة الألكترونية. الإصدار الثالث.
(37)كتاب القصاص والمذكرين (161)
(38)المفردات للأصفهاني ص (264-265).

3- **الإرشـاد** :يمكن تعريفه لدى الباحث بأنه :" الهداية والدلالة على ما فيه خير وصلاح العباد في الدارين".

4- **الرقائق**: تعرف بأنها :"ما يرق له القلب من عظات وعبر وأحكام " وتسمى الرقاق أيضا والمعنى واحد: جمع رقيقة وهي ما تحدث في القلب رقة ، والرقة : الرحمة واللين . قال الراغب : "متى كانت الرقة في نفس فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسي القلب"[39].

5- **القصص**: قال الراغب:" القص: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر. قال تعالى:"فارتدا على آثارهما قصصا"[40]، "وقالت لأخته قصيه"[41],ومنه قيل لما يبقى من الكلأ فيتتبع أثره: قصيص، وقصصت ظفره، والقصص: الأخبار المتتبعة، قال تعالى:"إن هذا لهو القصص الحق"[42]."لقد كان في قصصهم عبرة"[43].

6- **البــشارة**: هي "الخبر السار الذي يرغب السامع في غاية المتكلم" يقول الراغب:"أبشرت الرجل وبشرته وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر.... واستبشر: إذا وجد ما يبشره من الفرح ... ويقال للخبر السار: البشارة والبشرى"[44].

7- **الترغيب**: قال الراغب:"الرغبة هي السعة في الإرادة ...ورغب عن الشيء اقتضى صرف الرغبة عنه"[45]. ويعرفه عبد الكريم زيدان بأنه :"كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[46].وعليه فيمكن أن نعرف الترغيب بأنه:" التشويق والتحضيض على الخير بتوسيع الإرادة وصرف النفس نحو شيء ما بما يشوق إليه ويحبب فيه".

8- **الترهيب**:"كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[47].

---

(39)المفردات ص (206).
(40)سورة الكهف آية (64).
(41)سورة القصص آية (4)
(42)سورة آل عمران آية (62).
(43)سورة يوسف آية (111).
(44)المفردات للراغب ص (58).
(45)المفردات للراغب ص(204).
(46)أصول الدعوة (174)د عبد الكريم زيدان ط ثالثة – مؤسسة الرسالة – بيروت-1975م.
(47)أصول الدعوة (174).

9- **الـدعوة**: عرفـت الـدعوة إلى الله تعـالى بتعريفـات كثيـرة ويعرفهـا الباحـث بأنهـا:" ((تبليـغ رسـالة الإسـلام إلـى كافّـة النّـاس ، وحـثّهم علـى الإيمـان بـه ، أو التمـسك بأحكامه؛ بأساليب ووسائل مشوقة ومشروعة)).

10- **الخطابـة**: ولها تعاريف كثيـرة والمختار أن نقول :" فن مخاطبـة الجمـاهير بملكـة موهوبة ودربة مكسوبة يقصد بها استمالة الناس والتأثير فيهم"

والقائمون بهذه المهام الدعوية يسمون القصاص او المذكرون أو الوعاظ أو الدعاة أو الخطباء أو المرشدون وما هو قريب من ذلك .

وبهذه التعريفات يتبين لنا بعض جوانب هذا الفن , وفي الفصل التالي زيادة بيان لجوانب هذا الفن وتأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي من خلال كتابه "القصاص والمذكرين" والله الموفق للصواب.

الفصل الثاني

علم الوعظ: تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي

سبق في ترجمة ابن الجوزي – رحمه الله تعالى– أنه كان من أشهر الوعاظ والمذكرين , ولم يكتف –رحمه الله تعالى – بممارسة الوعظ عمليا مع جماهير المسلمين بل إنه دوَّن كثيرا مما يخص هذا العلم على نحو غير مسبوق, فكتب الكثير من كتب الوعظ[48], لكننا نراه في كتابه المتميز" القصاص والمذكرين", يؤصل لهذا الفن من الناحية العلمية, فعرف مصطلحات هذا الفن وبين ما يلزم الوعاظ من علوم وأدوات, كما ذكر بعض المحاذير والأخطاء التي يقع فيها بعض الوعاظ, وتكلم عما يمكن أن نسميه طبقات الوعاظ في تاريخنا الإسلامي إلى قبيل عصره, ولقد صنف كتابه المذكور جوابا عن سؤال سائل عن حقيقة الوعظ ما يحمد منه وما يذم , وعن الوعاظ من يسعى إليهم للاتعاظ ومن يترك, ذكر ذلك في مطلع كتابه قائلا:" سأل سائل فقال : نرى كلام السلف[49] يختلف في مدح القصاص وذمهم . فبعضهم يحرض على الحضور عندهم ، وبعضهم ينهى عن ذلك . ونحن نسأل أن تذكر لنا فصلاً يكون فصلاً لهذا الأمر . فأجبت – والله الموفق – أنه لا بد من كشف حقيقة هذا الأمر ليبين المحمود منه والمذموم"[50], فأجاب جوابا شافيا بين فيه جوانب كثيرة لهذا العلم , وسنفصل ذلك في هذا الفصل إن شاء الله على النحو التالي :

المبحث الأول: تعريف علم الوعظ عند ابن الجوزي وبيان فضله وأهميته:

المطلب الأول : تعريفات الفن وبعض المصطلحات ذات الصلة عن ابن الجوزي

بين – رحمه الله – أسماء علم الوعظ , ثم عرف علم الوعظ وكذا الأسماء التي في معناه مما هو ذو صلة به, وهذا مسلك علمي أردا به ابن الجوزي تحرير المعنى وضبط المصطلح, وهذا مدخل تأصيلي انتهجه علماؤنا في سائر الفنون, قال –رحمه الله – في أوائل كتابه "القصاص والمذكرين" :"أقول – وبالله التوفيق – : إن لهذا الفن ثلاثة أسماء : قصص ، وتذكير ، ووعظ . فيقال : قاص ، ومذكر ، وواعظ "[51] هذه أسماء الفن عند الشيخ – رحمه الله – ذكرها وعرف كل إطلاق منها كما سيظهر ويمكن أن تضاف أسماء أخرى لهذا الفن باعتبارات مختلفة, وكل اسم أضيف كان باعتبار ما ظهر من خلال التعريف.

شرع الشيخ –رحمه الله– في التعريفات قائلا:" فالقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص . وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين . وهذا لا

(48) ذكر ابن القادسي أن مصنفاته في الوعظ أكثر من مائة مجلد, قلت : ومن أشهرها (اليواقيت في الخطب- المنتخب في النوب- نسيم الرياض – اللطائف- المقتبس- زين القصص –شاهد ومشهود – المدهش- بحر الدموع- فتوح الفتوح – الياقوتة – تحفة الوعاظ) انظرها (ص 31-32) وهامشهما من تحقيق د/ عبد الرحمن البر لكتاب ابن الجوزي صيد الخاطر- ط الثالثة - دار اليقين – المنصورة – 1998م.

(49)السلف : مصطلح قال الباجوري في المراد بهم: (من كانوا قبل الخمسمائة, وقيل القرون الثلاثة : الصحابة والتابعون وأتباع التابعين) حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد ص 156 تحقيق/ د علي جمعة ط أولى - دار السلام – 2003م.

(50)كتاب القصاص والمذكرين (159)

(51)كتاب القصاص والمذكرين(159)

يذم لنفسه ، لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدجر ، واقتداء بصواب لمتبع, وقد قال الله عز وجل : "نحن نقص عليك أحسن القصص"[52].وقال:"إن هذا لهو القصص الحق"[53].

وبعد بيانه –رحمه الله تعالى– الأوجه الستة التي من أجلها كره بعض السلف القصص أكمل تعريفاته لهذا الفن ببيان بقية ألقابه وهي التذكير والوعظ فقال:

"وأما التذكير فهو: تعريف الخلق نعم الله– عز وجل– عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته .

وأما الوعظ ، فهو تخويف يرق له القلب وهذان محمودان . وقد صار كثير من الناس يطلقون على الواعظ اسم القاص . وعلى القاص اسم المذكر ، والتحقيق ما ذكرنا"[54]ومما سبق تبين أن الشيخ –رحمه الله – ابتدأ التعريفات بمصطلح القصص باعتبار شيوع هذا المصطلح في وقته هذا بل من أيام السلف – رحمهم الله– وكون هذا المصطلح محل السؤال الذي كتب كتابه جوابا عنه, إلا أنه بين أن القصص والوعظ والتذكير سواء من ناحية الدعوة إلى الله تعالى , وسوق الناس إلى خالقهم بسياط الوعظ والتذكير, وتأخير اللقبين (الوعظ والتذكير) عن القصص لا يعني كثير معنى هنا.

المطلب الثاني : بيان فضل الوعظ وأهميته ومدى الحاجة إليه

النفوس البشرية في أمس الحاجة إلى خلعها من ثقلة الأرض والطين ورفعها إلى معالي الروح والربانية , وليس أفضل من الوعظ لهذا الغرض النبيل والمقصد الشريف , لقد بين ابن الجوزي – رحمه الله تعالى ذلك أوفى ما يكون البيان, فقال في الباب الأول من الكتاب تحت عنوان:"في مدح القصص والوعظ" مبينا فضل الوعظ وكونه محمودا ممدوحا نقلا وعقلا :" أما من حيث النقل فقد قال الله عز وجل : " يعظكم الله"[55]وقال لنبيه :"وعظهم"[56]. وقال: "فاقصص القصص"[57].وقال: "إنما أنت مذكر"[58]وقال :" وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"[59]. ثم بين أن الوعظ كان من بين أعمال النبي صلى الله عليه وسلم, فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه ويذكرهم ويتخولهم بالموعظة ويبالغ في التخويف كأنه منذر جيش.وكان صلى الله عليه يبالغ في الوعظ حتى إنه كان يعظ النساء كما ورد في حديث جابر بن عبد الله قال :"شهدت

(52)سورة يوسف أية (4).
(53)كتاب القصاص والمذكرين (159) والآية من سورة آل عمران (62).
(54)كتاب القصاص والمذكرين (162).
(55)سورة النور آية (17).
(56)سورة النساء آية(63).
(57)سورة الأعراف آية (186).
(58)سورة الغاشية آية (21).
(59)سورة الذاريات آية (55),

العيد مع رسول الله ، فوعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة"[60].

وبين – رحمه الله – أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالفعل بل كان – عليه السلام – يأمر عماله بالتذكرة واستدل على ذلك بحديث عن عبيد بن صخر وكان ممن بعث النبي مع عماله إلى اليمن قال : أمر رسول الله عمال اليمن جميعا ، فقال : ' تعاهدوا الناس بالتذكرة وأتبعوا الموعظة بالموعظة ؛ فإنه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله – عز وجل –)[61].وأورد أثرا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ما تصدق مؤمن قط بصدقة أحب إلى الله – عز وجل – من موعظة يعظ بها قوما ، فيفترقون قد نفعهم الله بها"[62]. وساق رحمه الله تعالى من الأدلة الكثير ليبين فضل الوعظ وأهميته وكيف ارتضاه القرآن وجعله أحد أساليبه في الدعوة إلى الله تعالى , ثم كيف قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أتم وجه وأوفاه, لكن النفس لا تستريح إلى كثير من الآثار التي أوردها ليستدل بها في هذا الباب ولذا أعرضت عنها ولم أورد إلا ما يفيد المقصد ويثبت القضية, هذا بيان فضل الوعظ ومدى الحاجة إليه من ناحية النقل .

وأما أهميته وفضله ومدى الحاجة إليه فاستدل – رحمه الله تعالى – على ذلك كله من ناحية المعنى والعقل في فصل بعنوان:" فصل في فضيلة الوعظ من جهة المعنى " قائلا:" اعلم أن الطباع لما خلقت مائلة إلى حب الشهوات المردية ، والبطالة المؤذية ، افتقرت إلى مقوم ، ومثقف ، ومحذر يرد . فهي في ضرب المثل كالماء يجري بطبعه . فإذا رد بسكر وقف عن جريانه ثم أخذ يعمل في فتح طريق . فكما ينبغي أن يتعاهد ذلك السكر بالإحكام فكذلك ينبغي أن تتعاهد الطباع بالزواجر . ولا ينبغي أن يطول أمد التعاهد ، فإن عمل الماء في باطن السكر دائم وإن خفي . وكذلك الطباع في ميلها إلى ما يؤذيها . ولهذا بعث الأنبياء بالترغيب والترهيب ، وأنزلت عليهم الكتب للتثقيف والتأديب . فما زالوا مبشرين ومنذرين . ثم خلفهم العلماء, وقد كان العلماء كلهم يذكرون بفتاويهم وعلمهم ، غير أن القصاص والوعاظ ترسموا بهذا الأمر لخطاب العوام ، فالعوام ينتفعون بهم ما لا ينتفعون بالعالم الكبير . إلا أنه دخلت على بعضهم آفات . سنحذر منها إن شاء الله تعالى"[63].

---

(60)هذا الحديث رواه البخاري في ك/ العلم – ب/ عظة الإمام النساء وتعليمهن , لكنه عن عطاء عن ابن عباس , وفي كتاب العيدين باب خروج الصبيان إلى المصلى عن ابن عباس , وكذلك باب العَلم الذي بالمصلى كتاب العيدين , وحديث جابر في كتاب العيدين باب موعظة الإمام النساء يوم العيد برقم (978) لكن ليس باللفظ الذي أورده المصنف , فلم أره في البخاري عن جابر بهذا اللفظ .

(61) هذا الحديث أخرجه المتقي الهند في كنز العمال ب / بعث معاذ (برقم 30291)وقال : أبو نعيم وابن عساكر - عن عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري السلمي ولم أدر درجته .

(62)انظر كتاب القصاص والمذكرين الباب الأول ص (171) وأثر أبي الدرداء أورده المصنف في كتابه "صفة الصفوة "بلا إسناد ج/1 ص 204 عند حديثه عن أبي الدرداء عويمر بن زيد وقيل: عامر,في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار .

(63)كتاب القصاص والمذكرين ص (175).

وختم ابن الجوزي – رحمه الله تعالى– كتابه هذا بتأكيده على فضل الواعظ ومدى الحاجة إليه وضرورة احترامه وتوقيره, وكذا الموعظة فقال :" ولا ينبغي أن يحتقر أمر الواعظ فإنه إذا كان كامل العلم ، صادق القصد عم نفعه ، واجتلب إلى باب الله – سبحانه – عددا زائدا على الحد ما لا يقدر على اجتلاب عشر عشيرة فقيه ، ولا محدث ، ولا قارئ ؛ لأن خطابه بالوعظ للعام والخاص وخصوصا العوام الذين لا يلقون فقيها إلا في كل مدة ، فيسألونه عن كلمة . وهذا الواعظ كالرائض لهم يثقفهم ويقومهم ويؤدبهم . فلا يلتفت إلى من أطلق ذم الوعظ . وإنما وقع الذم للأسباب التي تقدم ذكرها[64].

فأما الدعاء إلى الله – تعالى – فمحمود ممدوح ، ولا وجه لذمه .

وأورد أحاديث شريفة في فضل الدعوة إلى الله تعالى منها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :" والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[65]وحديث أبي هريرة أن النبي قال : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "[66].

وقد أحسن – رحمه الله تعالى – في بيان ذلك وأجاد , ونحن نضيف إلى ما أورده قول الإمام البقاعي في بيان مدى الحاجة إلى الموعظة :" ولكن الإنسان لما جبل عليه من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترفقه وأعمال تصدقه وأخلاق تحققه , فخلل سبحانه وتعالى آي التوحيد بالأحكام والقصص , والأحكام تفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة عن عيون القلوب وتكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائي النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد , والقصص تلزم بمواعظها واعتباراتها بالأحكام وتقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد"[67].

أقول : ولا تخفى أهمية الوعظ بالنسبة للإنسان فهو محرك للهمة ومنشط للعزيمة , ودافع للسير في طريق الله تعالى, وفيه تنبيه الغافل وتذكير الناسي وتنشيط الكسول, وتقويم المعوج , به تلين القلوب بعد قسوة وتدمع العيون بعد جفاف, وترق الأفئدة , كم من عاص تاب بموعظة, وكم ضال اهتدى بتذكرة , إنه طريق القرآن إلى القلوب وعمل الأنبياء في النفوس.

---

(64)كتاب القصاص والمذكرين ص(370).

(65) متفق عليه , البخاري ك / الجهاد ب/ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة , وأورده في ك / فضائل الصحابة ب/ مناقب علي رضي الله عنه و وأورده مسلم ك / في فضائل الصحابة ب/ فضل علي رضي الله عنه, وهو في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / محمد فؤاد عبد الباقي ك / فضائل الصحابة ب/ فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأورد فيه لفظ مسلم.

(66)كتاب القصاص والمذكرين (371) والحديث رواه مسلم في صحيحه ك / العلم ب/ من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(67)نظم الدرر في تناسب الآي والسور للإمام برهان الدين البقاعي ج / 4 ص 28 عناية وتحقيق وتعليق الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر أباد الدكن – ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة – بدون.

المبحث الثاني : الوعظ بين الانفراط والانضباط في فكر ابن الجوزي

تعهد ابن الجوزي– رحمه الله تعالى – في مطلع كتابه ببيان ما يحمد وما يذم في الوعظ , ومن يحمد ومن يذم من الوعاظ والقصاص,وفي هذا المبحث تفصيل هذه القضية والتي من خلالها

نتعرف على طرف من آفات الوعاظ والوعظ, ونقف على الضوابط الشرعية والفنية لإصلاح هذا الفن مما يعكر صفوه ويحفظ هدفه وأثره, وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : آفات الوعاظ كما رآها ابن الجوزي

المطلب الثاني : ضوابط لازمة لإصلاح الوعظ

المطلب الأول : آفات الوعاظ كما رآها ابن الجوزي

ذكر ابن الجوزي بحكم خبرته العلمية الطويلة في التعامل مع الجماهير, ورؤية نماذج كثيرة من الوعاظ مجموعة من الآفات التي عكرت شرعية الوعظ وأخرجت بعض الوعاظ والمستمعين عن أدب الموعظة ومنهج تلقيها والتأثر بها, وتحاكم في كل ذلك إلى موازين شرعية , وجعل مرجعيته في الحكم على هذه الأشياء " النصوص وفعل السلف" رغم أنه شخصيا لم يلتزم من الناحية التطبيقية ببعض مما ذكر, خاصة في جانب إيراده – رحمه الله تعالى –كثيرا مما لم يصح من الأحاديث واستدل بها.

من هذه الآفات

أولا: اختلاق الكذب : ذكر ابن الجوزي– رحمه الله – أن من أفحش ما وقع فيه بعض الوعاظ اختلاق الكذب ثم تزويقه ببعض الأسانيد , ويبدو أن هذا الأمر قد شاع منذ زمن بعيد قبل ابن الجوزي حتى إن الإمام أحمد – رضي الله عنه –ليقول:" أكذب الناس القصاص والسؤال"[68], وقد ساق ابن الجوزي مجموعة من الحوادث والقصص بأسانيده بين فيها الكم الهائل من أكاذيب بعض القصاص, منه ما وقع قبل زمانه ورواه , ومنه ما رآه بنفسه , ويحسن هنا إيراد نموذج مما رواه منها فقط للتدليل على وقوع هذه الآفة الخطيرة: " قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة[69] . فقام بين أيديهم قاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ' من قال : لا إله إلا الله ، خلق الله – تعالى – له من كل كلمة منها طائرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان ' . وأخذ في قصه نحوا من عشرين ورقة . فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، ويحيى ينظر إلى أحمد ابن حنبل . فقال : أنت حدثته بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة . قال : فسكتا جميعا حتى فرغ من قصصه . وأخذ القطيعات ، ثم قعد ينتظر بقيتها . فقال له يحيى بن معين بيده : تعال ! فجاء

---

(68)كتاب القصاص والمذكرين(305).

(69)الرصافة قال ياقوت في معجم البلدان "بضم أوله مشهور إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء فما أدري ما اشتقاقه" وذكر أنه اسم موضع في اماكن عديدة فمنه : رصافة الأندلس والشام والحجاز وبغداد والكوفة والبصرة ونيسابور وواسط ,انظر معجم البلدان(ج 3/ ص46-50) مرجع سابق , لكنني لم اهتد إلى الرصافة المقصودة في الرواية التي معنا , ويمكن أن تكون رصافة بغداد نظرا لوجود الإمام أحمد ببغداد والله تعالى أعلم

متوهما لنوال يجيزه . فقال له : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد بن حنبل . ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله . فإن كان لا بد والكذب فعلى غيرنا . فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم . قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققته إلا الساعة . فقال له يحيى بن معين : كيف علمت أني أحمق ؟ قال : كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد ابن حنبل غيركما . قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . فوضع أحمد كمه على وجهه وقال : دعه يقوم . فقام كالمستهزىء بهما"[70], ثم قال مبينا بعض ما وقع في زمانه:" قلت : وقد كان في زماننا قاص حدثني عنه فقيهان ثقتان أنه حدثهما قال : صعدت إلى المنبر يوم عاشوراء فقلت : قال رسول الله : ' من صام يوم عاشوراء كان له وكان له . . . وسردت من هذا كثيرا ، كله وضعته في الوقت"[71].

ثانيا: إفساد الروايات بالزيادة والخلط : يقول في ذلك :" وفي القصاص من يسمع الحديث فيخلطه إذا رواه ، ويزيد فيه"[72]. وهذه آفة الرواة وقد قيل : "وما آفة الأخبار إلا رواتها", وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لمن ضبط الحديث وأداه كما سمعه ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:" نضر الله رجلا سمع منا كلمة فبلغها عنا كما سمع فإنه رب مبلغ أوعى من سامع"[73], لاحظ ابن الجوزي هذه الآفة على بعضهم فكتب مبينا أن ذلك مما لا يقبله شرع , وعليه يحمل ما ورد عن بعض السلف في ذم القصاص, وأورد في ذلك بعض ما قاله السلف "فعن أبي الوليد الطيالسي قال : كنت مع شعبة ، فدنا منه شاب . فسأل عن حديث فقال له : أقاص أنت ؟ قال : نعم . قال : اذهب ؛ فإنا لا نحدث القصاص . فقلت له : لم يا أبا بسطام ؟ قال : يأخذون الحديث منا شبرا فيجعلونه ذراعا"... وعن أيوب قال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص"[74]. ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه ليبين أن الخلط في الروايات والزيادة فيها سبيل غير محمود يفسد أديان الناس .

---

(70)كتاب القصاص والمذكرين (104).
(71)كتاب القصاص والمذكرين (307).
(72)كتاب القصاص والمذكرين(307).
(73)الحديث رواه الترمذي ك / العلم ب/ ما جاء في الحث على تبليغ السماع, وله روايات منها رواية عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود قال فيها الترمذي : حسن صحيح , وقال في رواية زيد بن ثابت : حديث حسن –ورواه البيهقى في السنن ب/ من يقبل خبره, ولفظ الرواية هنا للبيهقي وقال العجلوني في كشف الخفاء :" رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره ، ومن ألفاظه نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، زاد في كثير من طرقه : ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل لله وطاعة ذوي الأمر ولزوم الجماعة ـ ذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة . ثم قال في أوله في كثير من طرقه خطبنا بمسجد الخيف من منى فذكره ، ومنها ما رواه أحمد وابن ماجه عن أنس بلفظ نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.
(74)كتاب القصاص والمذكرين(308)

ثالثا: رواية الموضوعات دون الوقوف على حقيقتها:

وهذه آفة الوعاظ في كل زمان ومكان, يقول ابن الجوزي– رحمه الله تعالى– في ذلك وفي القصاص من يسمع الأحاديث الموضوعة فيرويها ولا يعلم أنها كذب . فيؤذي بها الناس . وربما سمعها من أفواه العوام فرواها . وربما سمع كلام الحسن أو سري السقطي فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد صنف من لا علم له بالنقل كتبا فيها الموضوع والمحال . فترى القصاص يوردون منها ويزيدون فيها ما يوجب تحسينا لها . وممن صنف لهم في هذا ، الحارث المحاسبي ، وأبو طالب المكي ، وأبو حامد الطوسي فإنهم أدرجوا في كتبهم أحاديث باطلة ولا يعلمون أنها كذب"[75].ثم ذكر أن بعض الأعاجم وقع في ذلك في تصانيفه , وبعض المفسرين كذلك, وفي كتابه: "تلبيس إبليس" اعتبر ذلك نوعا من تلبيس الشيطان على الوعاظ فقال:" فمن ذلك أن قوما منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله(صلى الله عليه وسلم):" من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[76]. وما ذكره هنا من أخطر المسالك على الدين وعلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال القاسمي عن الحديث الموضوع:" اتفقوا على أنه تحرم روايته مع العلم بوضعه سواء كان في الأحكام أو القصص والترغيب ونحوها إلا مبينا وضعه لحديث مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)) ورواه الإمام أحمد وابن ماجه روى الكذابين على صيغة التثنية والكاذبين بالجمع"[77]. وأورد القاسمي فتوى لابن حجر الهيثمي بهذا الخصوص تحت عنوان فتوى الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله في خطيب لا يبين مخرجي الأحاديث في فتاواه الحديثية ما نصه: ((وسئل رضي الله عنه في خطيب يرقى المنبر في كل جمعة ويروى أحاديث كثيرة ولم يبين مخرجيها ولا رواتها فما الذي يجب عليه ؟ فأجاب بقوله: ما ذكره من الأحاديث في خطبه من غير أن يبين رواتها أو من ذكرها فجائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث أو بنقلها من مؤلفه كذلك, وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في

---

(75) كتاب القصاص والمذكرين(309)

(76) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص (149).ط دار القلم للتراث – القاهرة – بدون .والحديث رواه مسلم في المقدمة باب / تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن أنس بن مالك وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أجمعين.

(77)قواعد التحديث (1/ 123) والحديث رواه الترمذي ك / العلم ب/ ما جاء فيمن روى حديثا وهو يرى أنه كذب وقال عنه هذا حديث حسن صحيح , وهو في مسند الإمام أحمد وفي الفتح الرباني للساعاتي ورد في كتاب / العلم باب/ في تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم (68) عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة, ورواه ابن ماجه في السنن المقدمة باب من حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا وهو يرى أنه كذب برواية علي رضي الله عنه وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عن الجميع.

كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك ومن فعله عزر عليه التعزير الشديد, وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلاً أم لا فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه)) ثم قال ((فعلى هذا الخطيب أن يبين مستنده في روايته فإن كان مستنداً صحيحاً فلا اعتراض عليه وإلا ساغ الاعتراض عليه بل وجاز لولي الأمر – أيد الله به الدين وقمع بعدله المعاندين – أن يعزله من وظيفة الخطابة زجراً له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السنية بغير حق)) انتهى ملخصا"[78].

رابعا: اختلال الأولويات في الدعوة :

وهذه آفة عريضة يقع فيها الكثير قديما وحديثا, فترى البعض يهون العظيم , ويعظم الهين, يقدم الدعوة إلى النوافل على الدعوة إلى الفرائض والواجبات, وربما دلل للناس بما لا يصح من الأدلة فتكون آفته مركبة , لقد لاحظ ذلك ابن الجوزي فقال :" وكثير من القصاص يملؤون المجلس بالأحاديث التي لا أصل لها كصلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان . وغير ذلك . ولا يحثون على الفرائض والواجبات"[79].كأنه رحمه الله يؤكد على الدعاة والوعاظ ضرورة شغل الجماهير بالأسس والفرائض والواجبات قبل غيرها , وألا يشغلوها إلا بما صح في أمور النوافل والسنن لتنصرف هذه الجموع إلى عمارة الكون, وكسب المعاش, دون أن يرهقها الدعاة بمزيد تعبدات لا تصح ولم يردها الله تعالى من خلقه.

خامسا: المبالغة في التخويف من الله وعدم التوازن بين الترغيب والترهيب :

وهذه من جملة آفات الوعظ والوعاظ , تجد أحدهم يسوق الآيات والأحاديث والقصص والأقوال المخوفة التي هي في الحقيقة لم تسق في الشرع هذا المساق المبتوت غير المتوازن, فيصور للناس أن الانتقام ينتظرهم, وجهنم هي مصيرهم , وكأن الله تعالى يتربص بخلقه ويتشوف لمعاقبتهم, وهذا مفهوم غير سوي , لأن الشرع جاء متوازنا في ترغيبه وترهيبه, لم يفصل الأمرين , بل جعل من فقه الداعية أن يحبب الناس إلى الله ويحب الله إلى خلقه, والعجيب أن تكون المبالغة في التخويف على النحو المذموم بما لا يصح من الآثار , هذا ما لاحظه ابن الجوزي فقال:" وفيهم من يروي أحاديث التخويف الموضوعة إلى أن يقنط الناس من الرحمة "[80].

---

(78)قواعد التحديث (123/1).
(79) كتاب القصاص والمذكرين(324).
(80)كتاب القصاص والمذكرين(325).

سادسا: سوء استعمال النصوص الشرعية :

ليس الغرض من نصوص الترغيب والترهيب سوقها للناس وفقط دون فهم مراميها وسياقها ومعناها , ومعرفة من تصح له ومن لا تصح ,فقد يسوق الداعية أو الواعظ حديثا يجرئ الناس به على الحرمات, أو يعطلهم به عن واجبات, أو يبطئ به نشيطا , ويفت به في عضد مجاهد, وما ذلك إلا لأنه لم يفقه كيفية سوق تلك النصوص في الوقت المناسب بالفقه المناسب كل لأهله وفي زمنه , فعندما يروي الواعظ مثلا للناس حديث الزبير بن عدي الذي يقول فيه : أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه الحجاج فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم يوم أو زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم صلى الله عليه و سلم"[81], ثم لا يفسر سياق الحديث ولا يضم إليه أحاديث أخر تبين أن حديث أنس رضي الله عنه لا يصح تعميمه بل يفهم في سياقه, ولهذا الفقه أورد الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى بعد إيراده حديث أنس رضي الله عنه, قوله :" ذكر الخبر المصرح بأن خبر أنس بن مالك لم يرد بعموم خطابه على الأحوال كلها " وأورد حديثا من المبشرات بانتصار الإسلام وأن الزمان يتفاوت وأن هذا الشر الوارد في حديث أنس ليس عاما ولا مطلقا وهذا الحديث هو : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه و سلم)[82],هذا هو الفقه الذي يجب على الدعاة والوعاظ إدراكه عند عرض مثل هذه النصوص ,ومن ذلك أحاديث التوبة , وأحاديث الفتن , وغيرها, ولا داعي لسرد نماذج من هذا القبيل تطول علينا مساحة البحث , وقد أشار ابن الجوزي إلى وقوع هذه الآفة فقال: وفيهم من يروي أحاديث الرجاء المصنوعة أو التي لها معنى كقوله : "من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة", ولا يبينون أن هذا كان في بداية الإسلام ، وأنه لا يكفي القول حتى يعمل بمقتضاه . وفيهم من يورد فضل السنة وأهلها وأن السني ناج مغفور له حتى يظن من يتمسك بالسنة أنه لا يضره ذنب"[83].

سابعا: المبالغة في ذم الدنيا ومخاطبة الناس بما لا يحكمون فهمه ولا عمله في هذا الباب

---

(81)رواه ابن حبان ب / الفتن تحت قوله /ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن آخر الزمان على العموم يكون شرا من أوله . قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

(82)صحيح رواه ابن حبان ب/ الفتن تحت قوله / ذكر الخبر المصرح بأن خبر أنس بن مالك لم يرد بعموم خطابه على الأحوال كلها,وله ألفاظ كثيرة وروي عن علي وقال عنه ابزار في مسنده:" وَهَذَا الْحَدِيثُ لاَ نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ بِهَذَا اللَّفْظِ بِإِسْنَادٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الإِسْنَادِ.

(83) كتاب القصاص والمذكرين (325). والحديث رواه الطبراني في الكبيرعن زيد ابن أرقم (223/5) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (18/1) في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزّان وهو وضاع. ونص الرواية :"من قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة.قيل وما إخلاصها : قال : أن تحجزه عن محارم الله وفي رواية "عما حرم الله".

عندما ذم الله الدنيا لم يذمها بإطلاق وإنما كان ذلك على أوجه حررها العلماء وبينوها, والناس في هذا المضمار درجات, منهم العوام ومنهم الخواص , ومن أكبر الخطل والخطأ التسوية بين الجميع في الخطاب, والأصل أن الزهد في الدنيا أمر قلبي لا شكلي فالهروب من المال والخروج من أعمال الدنيا والانقطاع للتعبد لا يدل في كل حال على الزهد , ولا يطالب به كل الناس بل لا يقبل من الجماهير فعل ذلك, لأننا أمة عمل وإنتاج وقوة نسخر مالنا وإنتاجنا في خدمة رسالتنا وعمران آخرتنا, ومن هنا كان الحديث في باب الزهد من أدق الأبواب التي تحتاج إلى حكماء فقهاء مدركين طبيعة النصوص ومقاصد الشرع , حتى لا تختل المفاهيم وتنسحب الأمة من الحياة فيمتلك زمامها الكفار ومن لا يحسنون الحياة الكريمة, هذه المعاني آشار إليها ابن الجوزي عندما رصد تلك الآفة الخطيرة وهي الخلط في المفاهيم تلبيسها على الناس فقال :" ومن القصاص من يأمر بالزهد في الدنيا ولا يبين المراد . ويدرج في ذلك أخبار المتزهدين ، ومن خرج من ماله ، ومن كان يطوي أياما ولا ينام الليل ويهرب من الخلق . فيرى العامي ترك عائلته ويهرب إلى السياحة أو ينقطع في المسجد . فإن طلبت المرأة فرضها وحكم الحاكم عليه بذلك ، لعن امرأته وتسخط على الحاكم الذي هو نائب الشرع . ولو أن القاص فهم ، لأخبرهم أن المذموم فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة ، وأن النفقة على الأهل واجبة . ثم إن العوام محتاجون إلى تعريف الفرائض . ومن هو مفرط في الصلاة ، مخل بالواجب في الزكاة ، متقاعد عن الحج مع الإمكان ، وعن قضاء الدين مع الجدة . فأين هو والنوافل"[84], ثم يصور نتيجة هذا الخلل في هذا النوع من الخطاب غير المنضبط قائلا عن بعض الوعاظ :"ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم"[85].

ثامنا: ذم الدهر وحوادث الزمان بما يدفع إلى التسخط وتجدد الأحزان

قال ابن الجوزي في ذكر تلك الآفة:"ومن القصاص من يذكر في مجلسه ذم الدنيا ويقول : فعلت وفعلت . ويبالغ في ذم الدهر وما يفعل بأهله ، كأنه ما سمع أن رسول الله قال : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"[86] ، وهذا لأن الزمان لا يفعل ، إنما هو ظرف .

قال: ومنهم من يذكر الموت ، والفراق ، وتخريق البلى . فيجدد مصائب النساء والضعاف القلوب . ويحركهم إلى التسخط بالأقدار . وهذا جمهور ما يقولونه في الأعزية ، وهو من المنكرات . وإنما ينبغي أن يؤمر أهل المصائب بالصبر ، وهم يحثون على الجزع . قال ابن

(84)كتاب القصاص والمذكرين(325).
(85)تلبيس إبليس (150) مصدر سابق.
(86) الحديث رواه البخاري ك / الآداب ب/ لا تسبوا الدهر ,ومسلم واللفظ له ك / الألفاظ من الأدب ب / النهي عن سب الدهر.

عقيل : حضرنا في بعض الأعزية عند شيخ قد مات ابنه فقرأ قارئ : " إن له أبا شيخا كبيرا "[87] فضج الناس بالبكاء . فقلت : هذه نياحة بالقرآن"[88].

تاسعا: الإتيان بما يمجه العقل ولا يقبله الشرع من أنواع المجاهدات

مجاهدة النفس مطلب شرعي مأمور به , لكن بطريقة شرعية لا تخرج الإنسان عن مقصد الشرع في المجاهدة, وقد وردت آثار صحيحة منضبطة معقولة عن سلفنا الصالح في أمر المجاهدات, وفي المقابل وردت آثار فيها من المبالغات ما ينافي العقل والشرع معا , وأغلب الظن أنها لا تصح وإن صحت فهي خطأ بيِّن لا يصح أن تطالب به الأمة , وقد بين ابن الجوزي هذه الآفة وخطورتها محاولة منه ضبط الخطاب الوعظي فقال عن هؤلاء :" ومن القصاص من يورد على أقوام قد سكنت القلوب إلى تعظيمهم ما لا يحسن ، فيقتدي بذلك الجاهل ، والغلط قد وقع ممن فعله ومن مورده إذا لم يفهم أنه خطأ . قال ابن عقيل : وذلك مثل ما يروى أن أبا يزيد تراءت عليه نفسه فحلف أن لا يشرب الماء سنة . ومثل ما ينقل أن امرأة نظر إليها رجل ، فقالت له : ما الذي أعجبك مني ؟ فقال : عيناك . فدخلت بيتها وقلعت عينيها وأنفذتهما إليه في قرطاس .

وإن قوما قيروا[89] أعينهم حتى لا ينظروا إلى زهرة الدنيا . فيبكي عند سماع هذه الأغمار الجهال بالشرع ، ويحسبون ذلك مقاما من المقامات . ولو فطن الموردون لهذا أنه طعن في العقل والدين لما سردوا هذه القبائح على الجهال . ووجه القبح أن الهياكل والأنفس ملك لله سبحانه وودائع عندنا . فلا يجوز لنا أن نضع عقوبة من قبل أنفسنا ولا نستوفيها منا . ويدل عليه أن إقامة الحد على نفس الإنسان بنفسه لا يجزي ، وإن فعله أعاده الأمام"[90]. والمطالع لإحياء علوم الدين يجد الكثير من هذه الصور التي رفضها الشرع ولا يقبلها العقل, والكتاب على جلالة قدره وعظيم نفعه مشحون بمثل هذه المبالغات, ولذا ذمه ابن الجوزي وذم أبا حامد كثيرا لهذه الأبواب والموضوعات من الإحياء.

عاشرا: ذكر بعض أهل الضلالة والثناء عليهم:

(87)سورة يوسف آية (80).
(88)كتاب القصاص والمذكرين(326).
(89) قير السفينة وغيرها : طلاها بالقار. المعجم الوجيز ص(522).
(90) كتاب القصاص والمذكرين(327).

"ومن هؤلاء من يتعصب لحسين الحلاج[91],ويدعي أنه كان من أرباب القلوب . والرجل إنما قتل بفتاوى الفقهاء ، وكلامه يدل على الإلحاد ، وإنما وجدوا في كلامه ما يلائم ما يؤثرونه من الإشارات الردية . فمالوا إلى ذلك .

حادي عشر: اتخاذ الوعظ حيلة لطلب حطام الدنيا

إن الدعوة إلى الله تعالى لما كانت من أجل القربات وأعظم الصالحات كان لابد فيها من الإخلاص لوجه الله تعالى طلبا لمثوبته ورجاء في مرضاته, وإن مما يعكر صفو هذا الإخلاص أن تدخل الأغراض والأهواء فتتحول الدعوة إلى مصيدة للدنيا, وتكون المواعظ شباكا لاقتناصها, وقد وقع البعض في ذلك والعياذ بالله وهذا ما رصده ابن الجوزي –رحمه الله – قائلا:" قال المصنف : وأما المقاصد فجمهور القوم يطلبون الدنيا ويحتالون بالقصص والوعظ عليها . وربما امتنع أحدهم من أخذ العطاء تصنعا ليقال : زاهد ، ليأخذ أكثر مما رد . وأكثرهم لا يمتنع من أخذ أموال الظلمة . ثم يطلبون وعندهم ما يكفي . وأكثر الناس إنما يعطون من زكاة أموالهم ، فكيف يستحل أخذ الزكاة من له ما يغنيه؟"[92]. ثم ساق رحمه الله نماذج عدة لهذا النوع من الوعاظ الذين احتالوا بالوعظ لنيل حطام الدنيا لا داعي لتطويل المقام بذكرها, فعلى الدعاة والوعاظ أن لا يمدوا أعينهم إلى حطام الدنيا وزهرتها وليجعلوا عملهم لوجه الله تعالى ليبارك لهم سعيهم , ويسري في الناس روح الإخلاص لله تعالى من خلال وعظهم. [93]

ثاني عشر: تحريك النفوس بما قد يفسدها

ليس المقصود من الوعظ تهييج النفوس على البكاء , والقلوب بالخشوع والرقة مطلقا فهذا ممكن بطرق شتى منها الحسن ومنها القبيح, وقد لاحظ ابن الجوزي أن بعضهم حرك النفوس وهيجها بنوع من الكلام غير محمود ولم يراع طبيعة بعض العوام ممن يحتمل فساد قلوبهم بهذا النوع من الكلام فقال :"ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه

---

(91)الحلاج هو: الحسين بن منصور ، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين.أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر.وظهر أمره سنة 299 هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان.ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: أنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإلهية فيه.وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث.قال ابن خلكان: وقطعت أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد.وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له.
وقال ابن النديم في وصفه: كان محتالا يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي كل علم، جسورا على السلاطين، مرتكبا للعظائم، يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول.ووضع المستشرق غولدزيهر رسالة في الحلاج وأخباره وتعاليمه، وكذلك صنف المستشرق لويس مسينيون كتابا في الحلاج وطريقته ومذهبه. انظر/ الأعلام للخير الدين الزركلي (ج2/ ص260).ط الحادية عشرة 1995م دار العلم للملايين – بيروت –لبنان.
(92)كتاب القصاص والمكرون(336).
(93)لا يتنافى مع الإخلاص ما يأخذه الوعاظ والدعاة من رواتب من الوزارات التي يتبعونها مقابل حبسهم على هذه الوظيفة وإلا لتعطلت الدعوة إلى الله تعالى, لكن مع ذلك ينبغي على الدعاة أن يديموا تجديد نياتهم , وتحرير الإخلاص في قلوبهم في كل وقت وحين حتى لا يكونوا من أهل الدنيا.

الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق , ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإثارة إلى محبة الله عز و جل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذبا فقد خسر الآخرة ومن كان صادقا لم يسلم صدقه من رياء يخالطه ".[94]

ثالث عشر: احتقار العوام والاستهزاء بهم

العوام أو الجماهير ربما غلب عليها ضعف التمييز لقلة العلم والانشغال بأعمال الدنيا, ومع ذلك تميزوا بقوة العاطفة والرغبة في الخير, فلا يجوز احتقارهم والحط من شأنهم, وبعض الدعاة لا يعتبر هؤلاء العوام شيئا,مع أنهم أرضه التي يغرسها,وجمهوره الذي يوجهه, ينقل ابن الجوزي صورة وآفة من آفات الوعاظ وهي احتقار العوام بل والتطاول عليهم سبا وشتما,وينبه أن هذه آفة خطيرة لا ينبغي الوقع فيها فقال عن :" عثمان الوراق قال : رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ، فقلت له : ويحك ! أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ قال : فقلت : لا . قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ! فقام فوعظ وقص حتى كثر الزحام عليه . ثم قال لهم : روي لنا من غير وجه أن من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار . قال : فما بقي منهم أحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبته ويقدره هل يبلغها . فلما تفرقوا قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر ؟"(95). قلت: إن صحت هذه الرواية فإن هذا الواعظ قد جمع بين رذيلتين إحداهما : احتقار خلق الله , والثانية الكذب عليهم حيث لم يثبت ما رواه لهم زاعما أنه روي له من وجه.

ويذكر صورا من التطاول على العوام بالسب والشتم فيقول:" قال الكرخي : وسمعت الحسين الكرابيسي يقول : كان هاهنا ببغداد قاص يقال له أبو مرحوم الحجام . كان يكون في مسجد ويجتمع الناس إليه . فقال يوما : سلوني عن التفسير وتفسير التفسير ! فقام رجل وراء الدرابزين فقال : يا أبا مرحوم ! فقال : طعنة يا ابن الفاعلة ! فقال له : رجل دعا لك ثم تقول له مثل هذه المقالة ؟ فقال : نعم . ألم تسمع قول الله تعالى:"إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون"[96]قال : ماذا تقول في المزابنة والمحاقلة ؟ قال : المحاقلة حلق الثياب عند السمسار ،

(94)تلبيس إبليس (149) مصدر سابق.
(95) كتاب القصاص والمذكرين(320).
(96)سورة الحجرات آية (4).

والمزابنة أن تسمي أخاك المسلم زبونا"[97].وهكذا وقع هؤلاء في محظور شرعي جمع بين الاستهزاء بالعامة وتفسير أمور الشرع الحنيف من غير علم.

وقد عد ابن الجوزي –رحمه الله تعالى –من آفات الوعاظ: التلاعب بالقرآن عند تفسيره وتناول معانيه, ومنها القراءة بالألحان الخارجة عن الحد المألوف وقد جعلوها كالغناء الذي يوقع عليه وبه. [98]

جملة الوجوه التي من أجلها ذم السلف القصص والقصاص

لعل مما يتم الحديث عن آفات الوعاظ أن نورد ما ذكره ابن الجوزي من وجوه بسببها ذم السلف نوعا من الوعظ والقصص , حتى يتجنبها الوعاظ والقصاص لئلا يقعوا في محذور ذمه السلف, ولينضبط الوعظ بضوابط الشرع فيخرج نقيا صافيا, يقول رحمه الله:

"وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء :

أحدها: أن القوم كانوا على الاقتداء والاتباع ، فكانوا إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله أنكروه حتى أن أبا بكر وعمر(رضي الله عنهما). لما أرادا جمع القرآن قال زيد : أتفعلان شيئا لم يفعله رسول الله؟.

والثاني: أن القصص لأخبار المتقدمين تندر صحته ، خصوصا ما ينقل عن بني إسرائيل ، وفي شرعنا غنية ....

والثالث: أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن ، ورواية الحديث ، والتفقه في الدين .

والرابع: أن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا تتيقن صحته .

والخامس: أن أقواما ممن يدخل في الدين ما ليس منه قصوا . فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام .

والسادس: أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم .

فلهذا كره القصص من كرهه . فأما إذا وعظ العالم ، وقص من يعرف الصحيح من الفاسد ؛ فلا كراهة"[99].

---

(97) كتاب القصاص والمذكرين (321).والمحاقلة وكذا المزابنة: ألفاظ نبوية ورد ت في حديث صحيح متفق عليه عن جابر رضي الله عنه "وفيه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المخابرة والمحاقلة وعن المزابنة وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها" والمخابرة عقد المزارعة ,والمحاقلة : بيع الزرع بالبر الصافي. وقيل: هي اكتراء الأرض بالحنطة وقيل غير ذلك, والمزابنة: اشتراء الثمر بالتمر في رؤوس النخل. انظر تعلقيات محمد فؤاد عبد الباقي على كتابه: اللؤلؤ والمرجان ج 2/ص 140- 141مصدر سابق.

(98)كتاب القصاص والمذكرين(331)

(99)كتاب القصاص والمذكرين(331).

المطلب الثاني : الضوابط اللازمة لإصلاح الوعظ في فكر ابن الجوزي

زيادة في ضبط هذا العلم وتنقيته من الشوائب والآفات, ومحاولة من – ابن الجوزي رحمه الله– وضع ضوابط شرعية للوعظ نرى أنه لم يكتف ببيان المشكلة على النحو الذي عرضناه من قبل , إنما حاول وضع الحلول وهذه منهجية محمودة , أن لا يكتفي المرء ببيان الخطأ بل يضع معالم الصواب وحل المشكلة كما قال الحكيم:

لا تقل لشيء ذا ناقص ... جيء بأوفى ثم قل ذا أكمل[100]

وفي هذا المطلب أورد مجموعة الضوابط الحاكمة التي تجعل الوعظ صالحا شرعيا مؤثرا منزها عن الخرافات والأمراض التي وقع فيها الكثير, ونحتاجها اليوم للوعاظ والموجهين والمذكرين,

أولا: اعتماد الوعظ على الفقه في الدين

بين ابن الجوزي أن الواعظ غير الفقيه والذي لم ينل حظا وافرا من علم الشرع يفسد أكثر مما يصلح, وأورد في ذلك قول أبي إدريس الخولاني: لأن أرى في طائفة المسجد نارا تتقد أحب إلي من أن أرى فيها رجلا يقص ليس بفقيه. ثم عقب عليه بقوله :"قلت : نعم ما قال ؛ لأن كلام من لا يعرف الفقه يؤذي ولا ينفع"[101] .

ويبين الفارق بين وعظ الفقيه ووعظ غيره ممن لم يبلغ في العلم الشرعي باعا يؤهله للوعظ وذلك من خلال مقولة أبي قلابة :"ما أمات العلم إلا القصاص . يجالس الرجل القاص سنة فلا يتعلق منه بشيء ، ويجالس العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء. ثم يعقب كذلك بقوله –رحمه الله– "قلت : أكثر كلام الواعظ الرقائق . فإذا تشاغل الإنسان بسماعها عن الفقه قل علمه"[102].

أقول : لا غنى للناس عن الوعظ بل هو حاجة من ضرورات الحياة الإسلامية وإن خشية الله تعالى والكف عن الحرمات التي يحدثها الواعظ المخلص في قلب الجماهير لهو العلم المنشود كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:" ليس العلم كثرة الرواية إنما العلم الخشية" لكن الإنسان إن انصرف جل وقته في تتبع الوعاظ منشغلا بذلك عن تعلم أحكام الإسلام مما يحل وما يحرم ووقع لهذا في المخالفات الشرعية هنا يأتي الذم الذي ذكره هؤلاء الأعلام من السلف عليهم رحمة الله أجمعين , فالأمر في حاجة إلى وسطية وتوازن.

ومن هنا وبعد أن طول ابن الجوزي في الحكايات عن المتقدمين في ذم القصاص والوعاظ وضرورة الانصراف عنهم إلى مجالس العلم والفقه ختم كلامه هنا بما يحقق ضبط فهم المسألة

---

(100)هذا البيت من محفوظاتي القديمة التي لا أذكر ما مصدرها , ويعسر نسبتها الآن لمصدر.
(101)كتاب القصاص والمذكرين(351).
(102)كتاب القصاص والمذكرين(354).

فقال :" قد أوضحنا في أول الكتاب فضيلة الوعظ والتذكير . ولا يخفى عموم نفعه للعوام وليس من ضرورة كونه نافعا أن يتشاغل به الفقهاء كلهم والزهاد .

وقد ذكرنا عن أحمد بن حنبل أنه قال : ما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

وقد روينا عن الصحابة والتابعين أنهم كانوا يعظون . فبان أن من كرهه إنما كرهه لأحد الوجوه التي سبقت في أول الكتاب . ثم قد غلب على أربابه قلة العلم وعدم الإخلاص وأن يجتلبوا به الدنيا وأكثرهم ليس بفقيه ، ولأن الانعكاف عليه يشغل عن مهم العلم . فمتى تخلص من هذه الآفات فهو ممدوح "[103].

ثانيا: سعة علم الواعظ وتبحره في علوم الشرع والواقع

وهذا الضابط متعلق بما سبقه ومبين له ,فمن آفات الوعاظ والدعاة اليوم أن من امتلك قدرة على الخطابة ومواجهة الجماهير والوقوف أمام الكاميرات والشاشات تصدر للوعظ , ويا ليته وقف عند حده بل يقتحم مجالات غيره فيفتي على الهواء مباشرة وعلى غير الهواء, كأن وعظه أهله للحديث في كل موضوع وفن, مع أنه في الحقيقة لم يتشبع بالعلم ولم يجالس أهله, وكثير من هؤلاء ممن نراهم اليوم تقحموا العلم على كبر, ولم يتخصصوا فيه , ومن هنا كانت الآفة التي تحتاج إلى ضبط يستبين به الواعظ الحق من غيره ومن هنا قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – مبينا زاد الداعية والواعظ الحق المنضبط :" لا ينبغي أن يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلوم ؛ لأنه يسأل عن كل فن . فإن الفقيه إذا تصدر لم يكد يسأل عن الحديث ، والمحدث لا يكاد يسأل عن الفقه ، والواعظ يسأل عن كل علم فينبغي أن يكون كاملا .

... عن أبي عبد الرحمن أن عليا – عليه السلام – مر بقاص ، فقال : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا ! قال : هلكت وأهلكت !" ثم بين – رحمه الله تعالى – زاد الواعظ والعلوم التي ينبغي أن يحصلها بقوله:"قلت : فينبغي للواعظ أن يكون حافظا لحديث رسول الله ، عارفا بصحيحه وسقيمه ، ومسنده ومقطوعه ، ومعضله ، عالما بالتواريخ وسير السلف ، حافظا لأخبار الزهاد ، فقيها في دين الله ، عالما بالعربية واللغة ، فصيح اللسان . ومدار ذلك كله على تقوى الله – عز وجل – وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب(104).وبين فوائد التضلع من علوم الشريعة قائلا:" ومتى كان الواعظ عالما بتفسير القرآن ،والحديث ، وسير السلف والفقه ، عرف الجادة ولم يخف عليه بدعة من سنة ، ودله علمه على حسن القصد وصحة النية ، ومتى كان قاصر العلم طالبا للدنيا لم ينفع غيره وضر"(105).

(103)كتاب القصاص والمذكرين(357).
(104)كتاب القصاص والمذكرين(349).
(105)كتاب القصاص والمذكرين(370)

ثالثا: تحقق الوعاظ بالإخلاص والتجرد من حظ الدنيا

وفي هذا يقول – رحمه الله – :" ثم يصحح قصده ؛ فإنه إذا صح قصده صرف الله القلوب إليه ، ثم يخرج من قلبه الطمع في أموال الناس"[106]. لأن الإخلاص لله تعالى سر القبول وسر التأثير في الناس , وما أعظم وصية حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه لأحد الوعاظ التي اوردها ابن الجوزي عن مجاهد عن ابن عباس أنه دخل المسجد وعبيد بن عمير يقص . فقال لقائده : اذهب بي نحوه ! فجاء حتى قام على رأسه فقال : أبا عاصم ! ذكر بالله وذكر لله[107].

وقد كان أبو سليمان الداراني يزجر الوعاظ الذين تتطلع أفئدتهم لحطام الدنيا قائلا لهم:" كيف يترك الدنيا من تأمرونه بترك الدينار والدرهم ، وهم إذا ألقوها أخذتموها منهم "[108], ومن أظهر علامات ترك حطام الدنيا والإقبال على الله تعالى بالإخلاص ترك الفضول والتوسط في المعيشة وقد أشار إلى ذلك ابن الجوزي ناصحا الوعاظ بقوله :"وينبغي للواعظ أن يترك فضول العيش ويلبس متوسط الثياب ليقتدى به" ويستدل على ذلك بجملة من أقوال السلف وأحوالهم منها قوله :" فقد كان في إزار عمر بن الخطاب رقاع عدة, وكان علي بن أبي طالب يلبس دني الثياب . فقيل له في ذلك فقال : يقتدي بي الرجل المسلم . قال أبو الوفاء بن عقيل: لكل قوم زي ، وكما لا يحسن الغناء إلا من الجواري الخرّد[109]، ولا الغزل إلا من عاشق ، ولا النوح إلا من ثاكل ، ولا ذكر الأوطان إلا من غريب ؛ فكذلك لا يعمل الوعظ إلا من متقشف ، متزهد ، متورع ، من وراء مدرعة صوف ، ونظافة جسم ، وتقليل قوت ، اشتغالا عن البدن بفضائل النفس كالطبيب الظاهر الحمية . فأما من يخرج بطينا فاخر الثياب مداخلا للسلاطين ، فكيف تستجيب له القلوب . إنما يسمع من هؤلاء على سبيل الفرجة كسماع الأسمار من السمار . ولربما كانت الصور والسمات تؤثر أكثر من الألفاظ ، وقد قيل : من لم تنفعك رؤيته لا تنفعك موعظته"[110].

رابعا: حفظ الهيبة بتقليل مخالطة العوام

يقول ابن الجوزي في ذلك :"وينبغي للواعظ أن يعتزل العوام ليكون لكلامه وقع هيبة ، لا على وجه التصنع بالانقطاع"[111]. وهذه مسألة تحتاج إلى نية أولا, بحيث يكون قصد الواعظ حفظ هيبة الوعظ لا هيبته الشخصية وإلا جرح إخلاصه وصدقه, كما تحتاج كذلك إلى ضبط فإن

---

(106)كتاب القصاص والمذكرين(182).
(107)كتاب القصاص والمذكرين (198) وكان ابن عباس قد كف بصره.
(108)كتاب القصاص والمذكرين(184)
(109)الخَرُود: المرأة الحييَّة – والبكر لم تمس . المعجم الوجيز ص 190 حرف (الخاء).
(110)كتاب القصاص والمذكرين(184).
(111)كتاب القصاص والمذكرين(185).

العوام ما يزالون في حاجة ماسة إلى الواعظ في غير الوعظ كصلح بين طرفين , أو حضور عزاء أو مناسبات اجتماعية أخرى , فلا ينبغي الانقطاع التام والخروج فقط للوعظ بل المقصود – والعلم عند الله – الانقطاع عن ما من شأنه أن يسقط هيبته ويجريء الناس عليه , وهذا إنما يتأتى بالخلطة الزائدة التي لا حاجة إليها.

خامسا: ضبط مجالس الوعظ بأحكام الشرع ومراعاة طبيعة الحاضرين

والمقصود بذلك أن المجالس ربما حضرها رجال ونساء هنا لا بد من ضبطها بأحكام الشرع من منع الاختلاط غير المشروع, وكل ما من شأنه أن يشين هذه المجالس الروحية , ولذا قال ابن الجوزي :" وإذا حضر مجلسه نسوة ضرب بينهن وبين الرجال حجابا ، وأشار إلى وعظهن وتخويفهن من تضييع حق الزوج والتفريط في الصلاة . ونهاهن عن التبرج والخروج . وذكر ما في ذلك من الأحاديث"[112].

سادسا: الحذر من أمراض القلوب

الوقوف في موقف التوجيه له زغل وله آفات لا يدركها ويتجنبها إلى موفق , من هذه الآفات والأمراض القلبية العجب والغرور والكبر , وواحدة من هذه كفيلة بإحباط العمل والعياذ بالله , فكيف إذا اجتمعت , وهنا نرى ابن الجوزي يحذر من هذه الآفات ويسوق مجموعة من الأقوال في ذلك منها: ما ورد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن العبادلة: عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو قالوا : قال رسول الله : ' القاص ينتظر المقت ، والمستمع ينتظر الرحمة ' . قال رحمه الله بعد أن أورد هذا الحديث : هذا الحديث لو صح كان معناه أنه ربما قال غير الصحيح أو عجب بنفسه أو أملهم بالتطويل. غير أنه لا يثبت ؛ فإن عبد الوهاب بن مجاهد مجمع على ترك حديثه[113].ومنها: ما ورد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن الحارث بن معاوية الكندي أنه ركب إلى عمر بن الخطاب ، فسأله عن خلال منها القصص . فقال : إنهم أرادوني على القصص . فقال : ما شئت . كأنه كره أن يمنعه . قال : إنما أردت أن أنتهي إلى قولك . فقال : أخشى عليك أن تقص ! فترتفع عليهم في نفسك ، ثم تقص فترتفع عليهم في نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا . فيضعك الله – عز وجل – تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك.

---

(112)كتاب القصاص والمذكرين(367).

(113)كفانا ابن الجوزي رحمه الله مؤنة البحث عن هذا الحديث فحكم عليه بعدم الصحة,وياليته فعل ذلك مع كل ما أورده من نصوص شريفة.

ومنها: ما ورد عن ميمون القصاص ، فقال : المستمع شريك المتكلم . ولا يخطىء المتكلم ثلاث : إما أن يسمن قوله بما يهزل دينه ، وإما عجب بنفسه ، وإما أن يأمر بما لا يفعل . والمستمع أيسر مؤنة : المستمع ينتظر الرحمة ، والمتكلم ينتظر المقت "[114].

وقد ذكر –رحمه الله تعالى – في تلبيس إبليس مرضا خطيرا وآفة عظيمة تصيب بعض الوعاظ ألا وهي حب الرئاسة والتشوف لتعظيم الناس إياه , والغيرة من أقرانه فقال :" وقد يكون الواعظ صادقا قاصدا للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة في قلبه مع الزمان, فيحب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق"[115].

سابعا: الحذر من فتنة النساء وترك التصنع والتزين لهن

تنبه ابن الجوزي – رحمه الله – إلى هذا المنزلق الخطر منزلق النساء ومدى الفتنة بهن في هذا المجال, والرجل يتكلم عن خبرة وواقع رآه وصوره قائلا :" ومن ذلك أن بعضهم يتزين بالثياب وحسن الحركات فيميل إليه النساء . قال أبو حامد الطوسي: متى كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته ، كثير الأشعار والحركات والإشارات ، ويحضر مجلسه النساء ، فيحذر منه ، وهذا منكر يجب منعه . فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح . ولا ينبغي أن يعظ إلا من ظاهره الورع ، وهيئته السكينة والوقار ، وزيه زي الصالحين . ومن ذلك أن بعض القصاص يصافحون النساء ، يلبسونهن الخرق ، ويقال هذه من بنات الكرسي ، وكأنهم ما سمعوا أن رسول الله – – ما صافح امرأة قط ." [116],نعم إن على الوعاظ والمدرسين والدعاة اتقاء هذه الفتنة بالورع والتقوى ومراعاة الحشمة والخوف من الله تعالى.

ثامنا: مراعاة فنون الوعظ وآدابه وما ينبغي فيه

من ذلك ما قاله رحمه الله :

1– التعاهد بالمواعظ وقت النشاط لها مستدلا بحديث البخاري عن أبي وائل قال : كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس . فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك تذكرنا كل يوم . قال : إنه ما يمنعني من ذلك إلا أني أكره أن أملكم . وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله يتخولنا بها مخافة السآمة علينا"[117]. وفي أفراد البخاري عن ابن عباس أنه

---

(114)انظر / كتاب القصاص والمذكرين(203).
(115)كتاب القصاص والمذكرين
(116)كتاب القصاص والمذكرين(298)
(117)رواه البخاري ك / العلم ب/ من جعل لأهل العلم أياما معلومة.

قال : حدث الناس في كل جمعة مرة . فإن أبيت فمرتين ، وإن أكثرت فثلاث مرات"[118]. ولا شك أن هذا التفنن في مخاطبة الناس يجعل الحبل متصلا بين الواعظ وجمهوره , والنفس راغبة في المزيد وتنتظره قال ابن الجوزي حدثنا غيلان بن جرير قال : كان مطرف يحدثنا ، فيقطع الحديث ونحن نشتهيه ، فنقول له في ذلك ، فيقول : إنه أسرع لرجعتكم إلي"[119].

2- التفنن في الوعظ بأساليب العربية

للكلمة تأثيرها في النفس ويزداد هذا التأثير إذا استعمل الخطيب والواعظ الأساليب القرآنية المتنوعة , أما الوقوف على أسلوب واحد فإنه لا يشبع النفس ولا يحدث الأثر ومن هنا قال ابن الجوزي موجها الواعظ:" فإذا فرغ القراء حمد الواعظ الله – عز وجل – وأثنى عليه وعلى رسوله وأصحابه ، ودعا للإمام والرعية . فإن كانت له صناعة في إنشاء الخطبة ، أو كان يحفظ خطبة فيذكرها ، ولا بأس ، فإن الكلام المستحسن له وقع في النفوس ولا يلتفت إلى متزهد جاهل يقول : هذا تصنع ! فإن التصنع المباح لاستجلاب القلوب لا يذم . وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له : ثابت بن قيس ، وشاعر هو حسان . فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه .

ولو أن واعظا قال : الحمد لله ! واقتصر على هذا في الخطبة ، ثم قال : اتقوا الله ! واقتصر على إعادة هذه الكلمة لم يقع قوله موقع من يأتي بالكلام المستحسن واللفظ الرائع .

ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة ، عرف موقع الفصاحة من القلوب"[120].

3- تجنب السجع خاصة في الدعاء

قال ابن الجوزي:" وليجتنب السجع في الدعاء ، وقد قال ابن عباس : اجتنب السجع في الدعاء . وقالت عائشة لقاص المدينة : اجتنب السجع من الدعاء ، فإن رسول الله – – وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك, ووجه هذا أن الدعاء ينبغي أن تبعثه حرقة الطلب . فإذا صدقت شغلت عن التصنع . ومتى وقع لا عن تصنع فلا بأس . فقد قال – عليه السلام – : ' أعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع "[121].

4- رفع الصوت بالموعظة

---

(118)رواه البخاري ك / الدعوات ب/ ما يكره من السجع في الدعاء (6337). الحديث رواه كرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم جميعا.

(119)كتاب القصاص والمذكرين(190). من الفوائد هنا أن نذكر ان الإمام العز بن عبد السلام ذكر في كتابه (الإمام) أن القرآن استعمل أربعة وثلاثين أسلوبا للدعوة إلى ما أمر الله به أو ندب إليه, وسبعة وأربعين أسلوبا في النهي عن المحرمات والمكروهات التي لا يرضاها الله تعالى . ودلل على كل هذه الأساليب من القرآن الكريم وجاء في ذلك بالعجب العجاب فليرجع إليه.

(120)كتاب القصاص والمذكرين (361).

(121)كتاب القصاص والمذكرين(362). والحديث رواه :النسائي في سننه ك/ الاستعاذة ب/ الاستعاذة من نفس لا تشبع.

قال رحمه الله :"ولا بأس أن يرفع صوته ويظهر الجد في تحذيره ووعظه" واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله كان إذا خطب الناس احمرت عيناه ورفع صوته واشتد غضبه وكأنه منذر جيش (يقول): صبحكم أو مساكم[122].

5- مراعاة حال السامعين

من حكمة الواعظ والداعية أن يراعي حال السامعين ويغلب على خطابه ما يتناسب مع حالهم , وقد رأى ابن الجوزي –رحمه الله – أن ذلك من فنون الوعظ , ورأى أن القوم في زمانه قد غلب عليهم عدم الخوف من الله, وتغلب عليهم حب الدنيا والطمع في زهرتها فنصح الوعاظ ان يراعوا حالة الناس تلك فيغلبوا على مواعظهم جانب التخويف فقال :" وليكن ميله إلى المخوفات أكثر ، فإن الطبيب يقاوم المرض بضده ، وقد غلب الطمع على القلوب ، وقوي الرجاء وضعف الخوف . ولا بأس أن ينشد الأبيات الزهديات فإن من الشعر حكمة"[123] . وقد نبه – رحمه الله – إلى مراعاة حال الحاضرين , فنبه على ما يجب على الواعظ إن كان وعظه للنساء ماذا يقول؟ وبم ينصح؟ فقال :" وإذا حضر مجلسه نسوة ضرب بينهن وبين الرجال حجابا ، وأشار إلى وعظهن وتخويفهن من تضييع حق الزوج ,والتفريط في الصلاة . ونهاهن عن التبرج والخروج . وذكر ما في ذلك من الأحاديث"[124].

ومن مراعاة حال المخاطبين نبه ابن الجوزي على التمييز بين الناس ومعرفة مكانتهم ومنازلهم الاجتماعية عند توجيه الوعظ فمثلا بالنسبة لولاة الأمر من الرؤساء والملوك والأمراء ومن في حكمهم ينبغي مراعاة نوع من الحكمة في نصحهم ووعظهم صورها –رحمه الله – قائلا:" إن وعظ سلطانا تلطف غاية ما يمكن . ولم يواجهه بالخطاب ، فإن الملوك إنما اعتزلوا الناس ليبقي جاههم . فإذا ووجهوا بالخطاب رأوا ذلك نقصا . فليذكر الوعظ عاما ليأخذ السلطان منه نصيبا ، وقد كان في السلاطين من يواجه بالإنكار فيصبر . وليس ذلك يحرم في الرأي ، بل التلطف أولى . قال عز وجل :" فقولا له قولا لينا ".

فإن قيل : فما تقول في قوله عليه السلام : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[125] فالجواب: أنه إذا كان الجائر لا يقبل الحق جاز أن يوري عن الحق خوفا على النفس . والأفضل

---

(122)كتاب القصاص والمذكرين(363). والحديث رواه مسلم ك/ الجمعة ب / خطبته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجمعة.
(123)كتاب القصاص والمذكرين(365).
(124)كتاب القصاص والمذكرين367).
(125)الحديث رواه أبو داود في سننه ك م الملاحم باب / الأمر والنهي من حديث أبي سعيد الخدري (رقم 4344).والترمذي ك الفتن ب / بَاب مَا جَاءَ أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ وقال : وفي وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ, قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1100 في صحيح الجامع .

أن يبدأه بالحق . ومتى أمكن التلطف فلا وجه للعنف .وكان ابن عقيل يقول : ما أستحسن إقدام الحسن على الحجاج مع علمه بجرأة الحجاج على السيف"[126].

6- ترك الإطالة على الناس

قال ابن الجوزي :" ولا ينبغي للواعظ أن يطيل المجلس " وأورد في ذلك مجموعة من الآثار والأقوال منها: قول أحمد بن حنبل : لا أحب للقاص أن يمل الناس . فلا يطيل الموعظة إذا وعظ . ومنها قول الزهري: المجلس إذا طال كان للشيطان فيه نصيب"[127]. ثم أضاف شيئا متصلا بذلك قائلا:" وليقتصر على مجلس واحد في الأسبوع فإن رأى الهمم متشوقة إلى الزيادة جعلها مجلسين ولا يزيد على هذا"[128].

7- عدم التصنع والتكلف والخشع

من الوعاظ من يتكلف التأثر , ويتصنع البكاء , ويتخشع وليس بخاشع, وإن مثل هذه المسالك غير الطبيعية تضاد روح الإخلاص لله تعالى وتنافي وقار الوعظ وحسن السمت, وقد حذر ابن الجوزي من ذلك كله وأنكر على فاعليه وعاب صنيعهم .

8- التوازن في أساليب الترغيب والترهيب

قال رحمه الله عن نوع من الوعاظ لا يراعي هذا المبدأ:" ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوي ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله "[129].

هذه جملة من الآداب والضوابط التي ساقها ابن الجوزي في كتابه الماتع " القصاص والمذكرين" من تأملها يجدها منهجا عاما في ضبط علم الوعظ من ناحية الممارسة , وبهذا يتضح لنا جانب من التأصيل العلمي والمنهجي لعلم الوعظ عند الإمام – رحمه الله تعالى – ولنقف الآن على بعض مواعظه في المطلب التالي .

(126)انظر/ كتاب القصاص والمذكرين(369).
(127)كتاب القصاص والمذكرين(369).
(128)كتاب القصاص والمذكرين(369).
(129)تلبيس إبليس(150) مصدر سابق.

المطلب الثالث : نموذج من وعظه _ رحمه الله _

نسوق في هذا المبحث الأخير نموذجا من وعظ ابن الجوزي لنرى الأسلوب البديع , والأدب الرفيع, والتاثير البالغ , ولنعلم من خلال ذلك أن ابن الجوزي كان جديرا بأن يؤصل لهذا العلم الهام ويوجه أهله المشتغلين به

هذا النموذج مأخوذ: من كتابه: "**بحر الدموع** " ولم يذكر رحمه الله لهذه الموعظة عنوانا إنما جات تحت قوله :(الفصل الأول)

" يا أسير دنياه، يا عبد هواه، يا موطن الخطايا، ويا مستودع الرزايا، اذكر ما قدّمت يداك، وكن خائفا من سيدك ومولاك أن يطّلع على باطن زللك وجفاك، فيصدك عن بابه، ويبعدك عن جنابه، ويمنعك عن مرافقة أحبابه، فتقع في حضرة الخذلان، وتتقيد بشرك الخسران، وكلما رمت التخلص من غيّك وعناك، صاح بك لسان الحال وناداك:

إليك عنا فما تحظى بنجوانـــا يا غادرا قد لها عنا وقد خانـــــا
أعرضت عنا ولم تعمل بطاعتنـــا وجئت تبغي الرضا والوصل قـــد بانا
بأي وجه نراك اليوم تقصدنـــا وطال ما كنت في الأيام تنســـــانا
يا ناقض العهد ما في وصلنا طمع إلا لمجتهد بالجدّ قـــــــــد دانا

يا من باع الباقي بالفاني، أما ظهر لك الخسران، ما أطيب أيام الوصال، وما أمرّ أيام الهجران، ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان، وسهروا الليالي بتلاوة القرآن فيبيتون لربهم سجدا وقياما.

عن عبد العزيز بن سلمان العابد، قال: حدثني مطهر، وقد كان بكى شوقا إلى الله تعالى ستين عاما، قال: رأيت كأني على ضفة نهر يجري بالمسك الإذفر، وحافاته شجر اللؤلؤ، وطينة العنبر، وفيه قضبان الذهب، وإذا بجوار مترنمات يقلن بصوت واحد: سبحانه وتعالى سبحان، سبحان المسبّح بكل لسان سبحان الموجود في كل مكان نحن الخالدات فلا نموت أبدا. نحن الراضيات، فلا نغضب أبدا. نحن الناعمات، فلا نتغيّر أبدا. قال: فقلت لهن: من أنتن؟! فقلن: خلق من خلق الله تعالى. قلت: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن بصوت واحد حسن مليح:

ذرانا اله الناس رب محمد لقوم على الأطراف بالليل قوم
يناجون رب العالمين إلههم ونسرى هموم القوم والناس نوم

فقلت: بخ بخ! من هؤلاء الذين أقر الله أعينهم؟ قلن: أما تعرفهم؟! قلت: لا والله ما أعرفهم. فقلن: هم المجتهدون بالليل، أصحاب السهر بالقرآن.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إذا أذنب العبد، وتاب إلى الله، وحسنت توبته، تقبل الله منه كل حسنة عملها، وغفر له كل ذنب اقترفه، ويرفع له بكل ذنب درجة في الجنة، ويعطيه الله بكل حسنة قصرا في الجنة، ويزوجه الله حورا من الحور العين"[130].

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود، بشر المذنبين، وأنذر الصديقين، فتعجب داود عليه السلام، فقال: يا رب، فكيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟! قال الله تعالى: يا داود، بشر المذنبين ألا يتعاظمني ذنب أغفره، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فأني لا أضع حسابي على أحد إلا هلك. يا داود، إن كنت تزعم أنك تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك، فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد. يا داود، من أحبني، يتهجد بين يدي إذا نام البطالون، ويذكرني في خلوته إذا لها عن ذكري الغافلون، ويشكر نعمتي عليه إذا غفل عني الساهون".[131]

وأنشدوا:

طوبى لمن سهرت بالليل عيناه وبات في قلق من حب مولاه

وقام يرعى نجوم الليل منفردا شوقا إليه وعين الله ترعـــــاه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" البرّ لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديّان لا يفنى. كن كيف شئت كما تدين تدان"[132].

ما هذا، أتدري ما صنعت؟ بعت القرب بالبعد، والعقل بالهوى والدين بالدنيا.

وأنشدوا:

قم فارث نفسك وابكها ما دمت وابك على مهـــل

فإذا اتقى الله الفتى فيما يريد فقـــــــد كمل

وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما نزع الله عبدا من ذنب إلا هو ويريد أن يغفر له، وما استمال الله عبدا لعمل صالح، إلا وهو يريد أن يتقبله منه"[133].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" التائبون إذا خرجوا من قبورهم، ارتفع من بين أيديهم ريح المسك، ويأتون على مائدة من الجنة يأكلون منها وهم في ظل العرش، وسائر الناس في شدّة الحساب"[134].

---

(130) لم أجد له أصلا في كتب السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن غيره, فالله أعلم به.

(131) لم أعثر عليه بعد طول بحث.

(132)قال العجلوني عن هذا الحديث رواه أبو نعيم وابن عدي والديلمي عن ابن عمر ورواه عبد الرزاق في الزهد عن أبي قلابة مرسلا, وأحمد عن أبي الدرداء موقوفا بلفظ "البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ماشئت كما تدين تدان" كشف الخفاء للعجلوني (ج1/ 284). قلت : والحديث ضعيف جدا كما قال غير واحد من العلماء .

(133) لم أعثر على تخريج له في أي مصدر إلا ما وجدته في بحر الدموع "لابن الجوزي ولم أدر من أين أتى به.

(134) وهذا الحديث كسابقه لم أعثر عليه مطلقا.

ويروى أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، بما أتقي النار؟ قال:" بدموع عينيك". قال: وكيف أتقيها بدموع عيني؟ قال:" أهمل دموعهما من خشية الله، فانه لا يعذب بالنار عينا بكت من خشيته"[135]. قال المصنف في العلل المتناهية هذا حديث لا يصح عن رسول الله.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قطرة تخرج من عين المؤمن من خشية الله، خير له من الدنيا وما فيها، وخير له من عبادة سنة، وتفكّر ساعة في عظمة الله وقدرته خير من صيام ستين يوما وقيام ستين ليلة. ألا وان لله ملكا ينادي في كل يوم وليلة: أبناء الأربعين، زرع دنا حصاده، أبناء الخمسين، هلموا الى الحساب، أبناء الستين، ماذا قدّمتم وماذا أخرتم، أبناء السبعين، ماذا تنتظرون. ألا ليت الخلق لم يخلقوا، فإذا خلقوا ليتهم علموا لما خلقوا له، فعملوا لذلك. ألا قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم"[136].

نزه مشيبك عن شيء يدنّسه ان البياض قليل الحمل للدنس

يا عبد السوء، كم تعصي ونستر، كم تكسر باب نهي ونجبر، كم نستقطر من عينيك دموع الخشية ولا يقطر، كم نطلب وصلك بالطاعة، وأنت تفرّ وتهجر، كم لي عليك من النعم، وأنت بعد لا تشكر. خدعتك الدنيا وأعمال الهوى وأنت لا تسمع ولا تبصر. سخّرت لك الأكوان وأنت تطغى وتكفر، وتطلب الإقامة في الدنيا وهي قنظرة لمن يعبر.

منعوك من شرب المودة والصفا لما رأوك على الخيانة والجفا

إن أنت أرسلت العنان إليهـــم جادوا عليك تكرّما وتعطّفـــا

حاشاهم أن يظلمـــــــوك وإنما جعلوا الوفا منهم لأرباب لوفا

وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال:" دخلت على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت، وكان حسن الجوار، وكان حسن السيرة، حسن الأخلاق، فرجوت أن الله يوفقه عند الموت، ويميته على الإسلام، فقلت له: ما تجد، وكيف حالك؟ فقال: لي قلب عليل ولا صحة لي، وبدن سقيم، ولا قوة لي، وقبر موحش ولا أنيس لي، وسفر بعيد ولا زاد لي، وصراط دقيق ولا جواز لي، ونار حامية ولا بدن لي, وجنّة عالية ولا نصيب لي، ورب عادل ولا حجة لي.

---

(135) حكم عليه المصنف كما في الأصل بانه لا يصح , وهو عند الخطيب (362/8) . وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (819/2) : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وقال المنذرى (114/4) : رواه ابن أبى الدنيا ، والأصبهانى .

(136)لم أعثر عليه لأحد إلا عند ابن الجوزي هنا وقد رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح مطلقا, وفي كتابه لطائف المعارف في المجلس الرابع بعنوان "ختام العام" ولم يذكره في اللطائف كحديث نبوي إنما قال : في بعض الكتب السالفة" ثم ذكره,

قل الحسن: فرجوت الله أن يوفقه، فأقبلت عليه، وقلت له: لم لا تسلم حتى تسلم؟ قال: إن المفتاح بيد الفتاح، والقفل هنا، وأشار إلى صدره وغشي عليه.

قال الحسن: فقلت: الهي وسيدي ومولاي، إن كان سبق لهذا المجوسي عندك حسنة فعجل بها إليه قبل فراق روحه من الدنيا، وانقطاع الأمل, فأفاق من غشيته، وفتح عينيه، ثم أقبل وقال: يا شيخ، إن الفتاح أرسل المفتاح. أمدد يمناك، فأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم خرجت روحه وصار الى رحمة الله.

وأنشدوا:

يا ثقـــتي يا أملي أنت الرجا أنت الولي

اختم بخير عملي وحقق التوبـــــة لي

قبل حلول أجلي وكـــــن لي يا ربّ ولي

إخواني، ما هذه السّنة وأنتم منتبهون؟ وما هذه الحيرة وأنتم تنظرون؟ وما هذه الغفلة وأنتم حاضرون؟ وما هذه السكرة وأنتم صاحون؟ وما هذا السكون وأنتم مطالبون؟ وما هذه الإقامة وأنتم راحلون؟ أما آن لأهل الرّقدة أن يستيقظوا؟ أما حان لأبناء الغفلة أن يتعظوا؟.

واعلم أن الناس كلهم في هذه الدنيا على سفر، فاعمل لنفسك ما يخلصها يوم البعث من سقر.

آن الرحيل فكن على حذر ما قد ترى يغني عن الحذر

لا تغترر باليوم أو بغـــــد فلربّ مغرور على خطـــــر

قال الجنيد: كان سري السقطي رضي الله عنه متصل الشغل، وكان إذا فاته شيء من ورده لا يقدر أن يعيده.

وكذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يكن له وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو جالس، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟! إن نمت بالنهار، ضيّعت حقوق الناس، وان نمت بالليل ضيّعت حظي من الله.

وسمع الجنيد رضي الله عنه ما يقول: ما رأيت أعبد لله تعالى من سريّ السّقطي، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤي قط مضطجعا إلا في علته التي مات فيها.

قال الجنيد رضي الله عنه: سمعت السريّ السقطي رضي الله عنه يقول: لولا الجمعة والجماعة ما خرجت من بيتي، وللزمت بيتي حتى أموت.

قال أبو بكر الصيدلاني: سمعت سليمان بن عمار يقول: رأيت أبي في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟ فقال: إن الرب قرّبني وأدناني، وقال لي: يا شيخ السوء أتدري لم غفرت لك؟ فقلت:

لا يا الهي. قال: انك جلست للناس يوما مجلسا فأبكيتهم، فبكى فيهم عبد من عبيدي لم يبك من خشيتي قط، فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

عن علي بن محمد بن إبراهيم الصفار، قال: حضرت أسود بن سالم ليلة وهو يقول هذين البيتين ويكررهما ويبكي:

أمامي موقف قدّام ربي يسألني وينكشف الغطا

وحسبي أن أمرّ على صراط كحد السيف أسفله لظى

قال: ثم صرخ صرخة، ولم يزل مغمى عليه حتى أصبح رضي الله عنه.

وكذلك يروى عن الضحّاك بن مزاحم أنه قال: خرجت ذات ليلة إلى مسجد الكوفة، فلما قربت من المسجد، فإذا في بعض رحابه شاب قد خرّ ساجدا وهو يخور بالبكاء، فلم أشك أنه ولي من أولياء الله تعالى؟، فقربت منه لأسمع ما يقول فسمعته يقول أبياتا:

عليك يا ذا الجلال معتمدي طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن بات خائفا وجلا يشكو إلى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم أكثر من حبّه لمـــــــولاه

إذا خلا في ظلام الليل مبتهلا أجابه الله ثم لبّـــــــــاه

ومن ينل ذا من الإله فقد فاز بقرب تقرّ عينـــــــاه

فبقي يكرر هذه الأبيات ويبكي، وإنا أبكي رحمة لبكائه، فبينما أنا كذلك، لاح لي ضوء كالبرق الخاطف، فأسرعت بيدي إلى عيني، فسمعت، فإذا بمناد ينادي من فوق رأسه بصوت عذب لذيذ لا يشبه كلام بني آدم، هو يقول:

لبيّك عبدي وأنت في منفي وكل ما قلت قد قبلنـــاه

صوتك تشتاقه ملائكتي وحسبك الصوت قد سمعناه

إن هبت الريح من جوانبه خرّ صريعا لما تغشـــــــاه

ذاك عبدي يجول في حجبي وذنبك اليوم قد غفرنـــــاه

فقلت: مناجاة الحبيب مع حبيبه وربّ الكعبة، فخريّت مغشيا على وجهي لما أدركني من الهيبة، ثم أفقت من غشيتي وأنا أسمع ضجيج الملائكة في الهواء، وخفقان أجنحتهم بين السماء والأرض، خيّل إلي أن السماء قد قربت من الأرض، ورأيت النور قد غلب على ضوء القمر، وكانت ليلة مقمرة ساطعة النور، فدنوت منه وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت له: بارك الله فيك، من أنت يرحمك الله؟ فقال لي: أنا راشد بن سليمان، فعرفته لما كنت أسمع عنه. فقلت

له: رحمك الله، لو أذنت لي في صحبتك لآنس بك، فقال لي: هيهات هيهات، وهل يأنس بالمخلوقين من تلذذ بمناجاة رب العالمين، فانصرف عني وتركني رضي الله عنه[137].أ هـ.

تعليق وجيز على موعظة ابن الجوزي –رحمه الله- :

يلحظ الناظر في هذه الموعظة تميز ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في جانب الوعظ , فهو قد نوع مادة الوعظ ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية , والمأثور من أقوال الصحابة والتابعين و وحكم الصالحين ونصائح المربين , كما استعمل الشعر الرقيق , والنثر المعبر وكل ذلك يصيب كبد الموضوع بلا تكلف , كما رأيناه ينوع أسلوب كلامه ما بين سؤال واستفهام, يشعر السامع انه قريب منه, وأنه يعلم ما يدور في خفايا نفسه وحنايا ضميره, ولكن العيب الظاهر والمأخذ الواضح ذلك التساهل العجيب في سوق أحاديث غير صحيحة , وهذا أمر عابه ابن الجوزي على الوعاظ والخطباء إلا أنه في جميع كتبه الوعظية واقع فيه بوضوح , وهذا أمر يحير العاقل ويدعو إلى العجب؟؟ فسبحان من أبى العصمة إلا لكتابه وكتب على خلقه خلاف ذلك.

(137)بحر الدموع لابن الجوزي ص (5) علق عليه / جمال مصطفى محمود ط الأولى - دار الفكر العربي - القاهرة بدون.

نتائج وتوصيات :

بعد هذه الرحلة الوجيزة مع علم من أعلام الوعظ والرقائق وكتاب من كتب هذا الفن الرائق يحسن بنا أن نقف مع بعض الفوائد والنتائج والتوصيات:

- **الوعظ مطلب شرعي ومقصد سني , فهو وسيلة تهذيب وإصلاح للنفوس والمجتمعات, فيجب أن تعنى به الجهات الرسمية الدينية والتعليمية على وجه يحقق رسالة الوعظ والوعاظ.**
- **قد يكون الواعظ جامعا بين المكنة في الوعظ والتبحر في الفقه وعلوم الشريعة وقد يكون واعظا مؤثرا فقط, وعليه فليس كل من مارس الوعظ يكون فقيها متمكنا من علوم الشريعة , فعلى العوام أن يقبلوا على الوعاظ طلبا لرقة القلب وخشوعه , وزجر النفس وردها إلى الحق , أما الفتاوى والحكم في النوازل فلا يتوجه بها إلى من عرف انه فقيه مشهور بالفقه والفتوى.**
- **من الواجب على كل أحد أن يعرف قدره فلا يدخل في فن غيره, فمن كان واعظا يجتمع عليه الناس فلا يدفعنه ذلك إلى الخوض في كل فن وخاصة الفتاوى التي ترتبط بها مصائر الأمم والجماعات والأمور العظيمة**
- **على الوعاظ ألا يتوسعوا في ذكر القصص الواقعية التي تحمل تفاصيل المنكرات والجرائم لئلا تتعلق بها قلوب العوام فتكون من باب إشاعة الفاحشة والمنكر وهم لا يشعرون.**
- **على الوعاظ أن يتزودوا بالعلم الشرعي الأصيل وأن يتوسعوا في علوم الشريعة لأنهم عرضة أن يسألوا في كل أمر , والعوام لا تميز كثيرا فيسألون كل متصدر للحديث , ومن هنا يجب على الواعظ أن لا يتصدر إلا بعد علم , ولا يفتي فيما لا يعلم.**
- **على الوعاظ أن يدعموا كلامهم بأصول العلم والأدلة من الكتاب والسنة بعيدا عن الكلام المرسل الذي لا زمام له ولا خطام.**
- **التدقيق في نقل الأحاديث الشريفة واجب شرعي , والتساهل في القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم آفة خطيرة منهي عنها فيجب التثبت وعندنا في الصحيح الغناء.**
- **يجب إعادة تأهيل عامة الخطباء والوعاظ بتدريبهم على الوعظ (من الناحية الفنية ومن الناحية العلمية التأصيلية) ليكون الوعظ منضبطا , بعد أن فقد كثيرا من أصوله وضوابطه وبالتالي أثره المنشود.**

- **على الواعظ أن يدرك منهج الإسلام في الحياة والأحياء حتى لا يخرج الناس بمبالغات وعظه عن مقاصد الإسلام الكلية , ومنهجيته الربانية.**
- **ينبغي على الوعاظ أن يميزوا بين ما هو متفق عليه في شرع الله وما هو مختلف فيه, فلا ينقلوا المتفق عليه إلى مختلف فيه, ولا يحولوا المختلف فيه إلى متفق عليه, فالواعظ أحيانا كما سبق يفعل ذلك بمبالغاته فيوجب ما ليس واجبا وقد يفعل العكس, فإذا جاء أهل الفتوى والعلم يصححون ذلك للعامة عسر عليهم مقصدهم.**
- **على الواعظ مراعاة الحالة النفسية والواقع الاجتماعي وضرورات الحياة ومشكلاتها حتى لا يحلق بالناس في عالم الخيال ولا يطلب منهم المستحيل , ولا يسوي بين الخواص والعوام , والقادر والعاجز, والموسر والمعسر , والمبتديء في التدين والضارب فيه.**
- **لا بد للواعظ من التمييز بين مرتبة العدل ومرتبة الفضل في الأحكام والعبادات , كما يجب عليه أن يفصل بين الواجب والمستحب , ولإحكام ذلك كله لابد له من استيعاب القواعد الفقهية والأصولية وأبواب الفقه وعلم الأصول وفقه الأولويات .**

هذا والله تعالى أعلى وأعلم وأعز وأحكم , هو ولينا في الأولى والآخرة ,والحمد لله رب العالمين , وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم المراجع

1. أبجد العلوم / صديق حسن خان– ط الهندية .بدون
2. أصول الدعوة د عبد الكريم زيدان ط ثالثة – مؤسسة الرسالة – بيروت–1975م.
3. الأعلام للخير الدين الزركلي .ط الحادية عشرة 1995م دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.
4. آيات الدعوة في القرآن الكريم – د/ حمد بن ناصر العمار – ط أولى . دار اشبيليا – الرياض --1418هـ–1997م.
5. بحر الدموع لابن الجوزي علق عليه / جمال مصطفى محمود ط الأولى – دار الفكر العربي – القاهرة بدون.
6. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير – ط دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي– بيروت –لبنان.
7. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم / آدم عبد الله الآلوري –ط ثانية – مكتبة وهبة – القاهرة – 1399هـ – 1979
8. التعريفات للجرجاني – تحقيق د: عبد الرحمن عميرة –ط أولى –عالم الكتب– بيروت – لبنان – 1407هـ–1987م.
9. التفسير القيم لابن القيم – جمع / محمد أويس الندوي تحقيق / محمد حامد الفقي – ط دار الكتب العلمية – بيروت 1398هـ.
10. تلبيس إبليس لابن الجوزي.ط دار القلم للتراث – القاهرة – بدون .
11. حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد –تحقيق/ د علي جمعة –ط أولى – دار السلام – 2003م.
12. حاشية الصبان/ محمد بن علي الصبان على شرح السلم للملوي – ط ثانية مطبعة الحلبي – القاهرة –1938م 1357هـ.
13. سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و تحقيق د/ بشار عواد ود/ محي هلال السرحان وغيرهما.ط الأولى –مؤسسة الرسالة –1404 هـ – 1984م.
14. صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر– ط الأولى 1407هـ – 1987– دار الريان – القاهرة.

15. صحيح مسلم مع شرح النووي – مؤسسة مناهل العرفان بيروت – مكتبة الغزالي دمشق .بدون.
16. صيد الخاطر لابن الجوزي– تحقيق د/ عبد الرحمن البر – ط الثالثة – دار اليقين – المنصورة – 1998م.
17. الفتح الرباني للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا – دارإحياء التراث العربي – بيروت – لبنان–بدون.
18. كتاب القصاص والمذكرين تحقيق الشيخ محمد لطفي الصباغ – ط الثانية – المكتب الإسلامي – بيروت – 1409هـ – 1988م.
19. كشف الخفاء للشيخ إسماعيل العجلوني ط مكتبة الغزالي دمشق– مؤسسة مناهل العرفان بيروت بدون.
20. لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي – دار صادر –– بيروت– لبنان– بدون
21. اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم محمد أبو عليان الشافعي – طبع على نفقة حضرة الأستاذ العلامة الفاضل السيد /فريد الضرغامى الأزهري – ط القاهرة– بدون
22. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / محمد فؤاد عبد الباقي– دار الحديث1986م.
23. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري – المكتبة الشاملة الألكترونية. الإصدار الثالث.
24. معجم البلدان – ط دار صادر– بيروت سنة 1977م .
25. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس بن زكريا – تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ثالثة مكتبة الخانجي – القاهرة 1402 هـ– 1981م
26. مفردات القرآن الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – أعده للنشر/ د : محمد أحمد خلف الله – مكتبة الأنجلو المصرية بدون رقم وتاريخ
27. نظم الدرر في تناسب الآي والسور للإمام برهان الدين البقاعي – عناية وتحقيق وتعليق الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر أباد الدكن – ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة – بدون.

فهرس الموضوعات	صفحة
الفصل الأول: ابن الجوزي – رحمه الله تعالى –وعلم الوعظ ترجمة وتعريفات وفيه مبحثان :	
المبحث الأول: ترجمة ابن الجوزي –رحمه الله تعالى.	
المبحث الثاني : علم الوعظ مبادئ وتعريفات.	
المطلب الأول:المبادئ العشرة لعلم الوعظ .	
المطلب الثاني : تعريف الوعظ والألفاظ ذات الصلة.	
الفصل الثاني :علم الوعظ: تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي	
المبحث الأول: تعريف علم الوعظ عند ابن الجوزي وبيان فضله وأهميته:	
المطلب الأول : تعريفات الفن وبعض المصطلحات ذات الصلة عن ابن الجوزي	
المطلب الثاني : بيان فضل الوعظ وأهميته ومدى الحاجة إليه	
المبحث الثاني : الوعظ بين الانفراط والانضباط كما صوره ابن الجوزي	
المطلب الأول : آفات الوعظ وأخطاء الوعاظ	
أولا: اختلاق الكذب.	
ثانيا: إفساد الروايات بالزيادة والخلط.	
ثالثا: رواية الموضوعات دون الوقوف على حقيقتها.	
رابعا: اختلال الأولويات في الدعوة .	
خامسا: المبالغة في التخويف من الله وعدم التوازن بين الترغيب والترهيب.	
سادسا: سوء استعمال النصوص الشرعية .	
سابعا: المبالغة في ذم الدنيا ومخاطبة الناس بما لا يحكمون فهمه ولا عمله في هذا الباب.	
ثامنا: ذم الدهر وحوادث الزمان بما يدفع إلى التسخط وتجدد الأحزان.	
تاسعا: الإتيان بما يمجه العقل ولا يقبله الشرع من أنواع المجاهدات .	
عاشرا: ذكر بعض أهل الضلالة والثناء عليهم.	
حادي عشر: اتخاذ الوعظ حيلة لطلب حطام الدنيا .	
ثاني عشر: تحريك النفوس بما قد يفسدها.	

ثالث عشر: احتقار العوام والاستهزاء بهم.	
المطلب الثاني : الضوابط اللازمة لإصلاح الوعظ في فكر ابن الجوزي	
أولا: اعتماد الوعظ على الفقه في الدين.	
ثانيا: سعة علم الواعظ وتبحره في علوم الشرع والواقع.	
ثالثا: تحقق الوعاظ بالإخلاص والتجرد من حظ الدنيا.	
رابعا: حفظ الهيبة بتقليل مخالطة العوام.	
خامسا: ضبط مجالس الوعظ بأحكام الشرع ومراعاة طبيعة الحاضرين.	
سادسا: الحذر من أمراض القلوب .	
سابعا: الحذر من فتنة النساء وترك التصنع والتزين لهن.	
ثامنا: مراعاة فنون الوعظ وآدابه وما ينبغي فيه.	
المطلب الثالث : نموذج من وعظه _ رحمه الله _	
نتائج وتوصيات	